التصوير البياني

في

شعر محمود حسن إسماعيل

د/ انتصار محمود حسن سالم

أستاذ مساعد بقسم البلاغة والنقد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق

جامعة الأزهر

التصوير البياني في شعر محمود حسن إسماعيل

انتصار محمود حسن سالم
قسم البلاغة والنقد كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق، جامعة الأزهر- مصر.
البريد الإلكتروني: intesarsalem.67@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

تناولت الدراسة الحديث عن التصوير البياني في شعر محمود حسن إسماعيل، وقد تحدثت فيه عن ملامح البيئة الريفية، وملامح الطبيعة الريفية في شعر محمود حسن إسماعيل، وقد تناولت الصور البيانية من (تشبيه واستعارة ومجاز مرسل وكناية) في شعر الشاعر بطريقة جمالية فنية.

وتنتهي الدراسة بخاتمة تناولت فيها، أهم النتائج التي أسفر عنها البحث، ثم ثبت بالمصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: التصوير البياني- محمود حسن إسماعيل- التشبيه- الاستعارة المجاز المرسل الكناية.

Graphic photography in the poetry of Mahmoud Hassan Ismail

Intisar Mahmoud Hassan Salem
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Zagazig, Al-Azhar University, Egypt.
E-mail: intesarsalem.67@azhar.edu.eg

Abstract:
The study dealt with the talk about graphic representation in the poetry of Mahmoud Hassan Ismail, in which it talked about the features of the rural environment and the features of the rural nature in the poetry of Mahmoud Hassan Ismail.
The study ends with a conclusion in which it deals with the most important results of the research, and then it is confirmed by sources and references.

Key words: graphic representation - Mahmoud Hassan Ismail - simile - metaphor, the sender, the metaphor.

المقدمة

الحمد علي رب العالمين، منزل الكتاب بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين وبعد،،

إن الشعر الحديث يمتاز بأنه في كثير من الأحيان أنه يعبر عن عاطفة الشاعر وآماله، ومشاعره الحزينة، كما يصور معالم الطبيعة وجمالها، مما يفتح للشاعر مجالات أوسع، وأرحب أن يسبر فيها أغواره، ويلجأ إلى أحضان الطبيعة، يبث فيها شكواه، ويعبق من سحرها وجمالها، فتكون مصدراً لإظهار طاقته الشعرية.

وقد ظهر في العصر الحديث شعراء كثيرون، أبدعوا في الشعر قصائد رائعات، وظفوها توظيفا صوّر انفعالاتهم، وشخّص آلامهم وآمالهم، ومحمود حسن إسماعيل من الشعراء الذين جاء شعرهم، مترجماً عن عاطفة ومشاعر فيّاضة تجاه الطبيعة، ومظاهرها، فنراه يتفاعل معها يتأثر بها، وتؤثر فيه بل، ويتغنى بها في جميع أشعاره .

هذا الشاعر الذي نشأ في الريف، وتربى بين أحضانه، وتأثر بمظاهر الطبيعة فيه، فدفعه ذلك إلى التعبير عما تجيش به نفسه من مشاعر، وأحاسيس تجاه موطنه.

ولع الشاعر محمود حسن إسماعيل بالبيئة الريفية، فأخرج أعذب الألحان وشذا أحسن القصائد في تصوير بعض ملامح الريف المصري.

لذا وجدتني أسلط الضوء على هذا الشاعر في تصويره لملامح بيئة الريف والطبيعة فيه، مبينة إنها ليست مجرد أنهار وأغصان، وأزهار وشمس، وقمر .... وذلك من خلال الكشف عن عبقرية الشاعر التي تتفاعل مع ما حوله، فتنعكس على حالته النفسية، فيبثها في شعره.

وقد اتبعت – بعون الله وتوفيقه – المنهج الفني من خلال تطبيقه على أبيات من قصائد الشاعر، التي تعتمد على استخراج الصور البلاغية في

الألفاظ والأساليب، وكذلك المنهج التكاملي أو الشمولي الذي يتناول العمل الأدبي من جميع النواحي، باعتباره أنه مثل الكائن الحي، الذي يتجاوب فيه المعنى مع الصورة البلاغية من (تشبيه واستعارة وكناية) وغيرها، فتخرج صورة تنبض بالحياة.

وقد اشتملت هذه الدراسة على مبحثين تعقبهما، خاتمة ثم ثبت بالمصادر والمراجع.

أما المبحث الأول فجعلت عنوانه: ملامح البيئة الريفية في شعر محمود حسن إسماعيل، وتشمل عدة محاور:

١- المحور الأول: النيل والنهر.

٢- المحور الثاني: الأزهار والرياحين.

٣- المحور الثالث: الطيور والفراشات.

٤- المحور الرابع: الفلاح المصري.

٥- المحور الخامس: نبتة الحقل.

والمبحث الثاني: وجعلت عنوانه: ملامح طبيعة البيئة الريفية في شعر محمود حسن إسماعيل وتشتمل على محورين:

١- المحور الأول: الأجرام السماوية (الشمس والقمر).

٢- المحور الثاني: أوقات الزمن (الفجر والنور، وساعة الغروب، والمساء والليل).

ثم أنهيت هذه الدراسة بخاتمة، تضمنت أبرز النتائج التي أسفر عنها هذا البحث، وأخيرا فلست أدعي الكمال لهذه الدراسة، فالكمال لله وحده، وإنما أنا بشر أصيب وأخطئ، وللمجتهد أجران إن أصاب، وأجر واحد إن أخطأ.

الله أسأل أن أنال الأجرين، وأن أكون ممن اجتهد، فأصاب إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

الباحثة

انتصار محمود حسن

التمهيد

أولا: محمود حسن إسماعيل والصورة البيانية:

مولده وحياته: ولد الشاعر محمود حسن إسماعيل في الأول من يوليو عام ١٩١٠م، وكان مولده في قرية من قرى محافظة أسيوط في (قرية النخيلة)[١].

وقد نشأ الشاعر في هذه القرية منذ نعومة أظافره حافظا للقرآن الكريم في كُتَّاب القرية، ثم حصل على البكالوريا عام ١٩٣٢م، ثم سافر إلى القاهرة والتحق بكلية دار العلوم العليا[٢].

فكان ذلك خطوة واسعة مكنته من الانتقال إلى حيث يفيد من القرآن فيضا من معانيه، إلى جانب ما سمعه من موسيقاه، كما نما عقله، وتفتّح على متناقضات الفوارق الطبقية بين أسرته وبين الأسر الرافلة في ظلال النعيم، وكان ذلك أيضا مادة خصبة لجانب كبير من شعره. [٣]

بعد أن تخرج محمود حسن إسماعيل من دار العلوم عمل بعد تخرجه في مجمع اللغة العربية، ثم انتقل إلى وزارة المعارف، ثم إلى الإذاعة المصرية.[٤]

موهبته الشعرية: يقول الشاعر محمود حسن إسماعيل عن بزوغ ميزة شعره أن طفولته في الصعيد، قد تركت بصمات في حياته كشاعر، فقبل

---

(١) انظر المختار من شعر محمود حسن إسماعيل، لسلوان محمود حسن إسماعيل، ص (٩)، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب..

(٢) انظر محمود حسن إسماعيل بين الأصالة والمعاصرة د/ صابر عبد الدايم ص (٧٥)،ط دار المعارف ١٩٨٤م.

(٣) شعر محمود حسن إسماعيل، دراسة فنية، د/ محمد علي هدية ص (٢٨) نشر مكتبة مدبولي ١٩٨٧م.

(٤) الأدب العربي الحديث، د/ عبد القادر القط، ص (٨٨)الطبعة الأولى، مكتبة الشباب بالمنيرة سنة ١٩٧٨م.

انتهاء مدة الدراسة العليا، أصدر الشاعر ديوانا بعنوان (ديوان أغاني الكوخ) ثم توالت الدواوين، فأنشدتُ (أنغام الكوخ، وهكذا أغنى، وأين المفر)، وسائر الدواوين والأشعار التي نشرت بعد ذلك، والتي تولدت فيها أحاسيسه الأولى نحو فلسفة الوجود، والمسافات المضروبة بين الناس بدون عدل، وتقديس الحرية التي لا تشكل قيدا على نفسها(١).

"وإلى جانب موهبته الشعرية كانت له قدرة على إلقاء الشعر، فهو لا يردد كلمات، ولكنه كان يغنى للجمال والطبيعة، ولذلك شعر محمود حسن إسماعيل يعتبر قطعة مؤثرة من آلامه وآماله، شملت مظاهر الطبيعة حوله، فقد أعطى الكلمة العربية إشعاعا ونبضا، وحياة، حتى جعل الجماد ينبض بالحركة من كثرة ما يخلع عليه من صفات حية، تدعو إلى شاعريته، فهو الشاعر العبقري الذي نبغ في الشعر وتصوير الطبيعة"(٢).

ولذلك جاء شعر محمود حسن إسماعيل يتسم بيقظة الحس، ورهافة الشعور وعمق الإحساس، وكذلك تميز برقة العاطفة، والعمق الإنساني الذي خلعه على الكائنات الحية إلى جانب غزارة الموهبة الشعرية، وتأثره بمظاهر الطبيعة والوجود حوله حتى تغنى به في أشعاره.

أما شعره: فقد عنى فيه بتصوير الطبيعة، وأجواء الريف، ومعاناة أهله بطريقة رومانسية لطيفة تمس القلب والإحساس.

وفاته: توفى الشاعر محمود حسن إسماعيل في السابع والعشرين من إبريل عام ١٩٧٧م، في الكويت، ونقل جثمانه إلى القاهرة، ودُفن في مصر حيث كانت مصر في خاطره، ووجدانه طوال فترة غربته.

---

(١) كتاب محمود حسن إسماعيل، لسلوان محمود – بتصرف – ص (٢٢).

(٢) مقال محمود حسن إسماعيل وشاعرية الشموخ، أ/ نعمان عاشور، ص ٤٤، مجلة الدوحة القطرية، السنة الخامسة، أكتوبر سنة ١٩٨٠م

ثانيا : الصورة البيانية بين (المفهوم والقيمة)

١- تعريف الصورة:

الصورة لغة: وردت في كلام العرب على ظاهر معناها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته(١).

أما الراغب الأصفهاني فيقول عن الصورة: (الصور هي ما ينتقش به الأعيان ويتميز بها غيرها، وذلك ضربان: أحدهما محسوس يدركه الخاصة والعامة... وثانيهما: معقول يدركه الخاصة دون العامة، كالصور التي اختص بها الإنسان من العقل والروية، والمعاني التي خص بها شيء بشيء) (٢)

وقد وردت مادة (صور) في القرآن الكريم قال تعالى: (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاء لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (٣)

أما الصورة اصطلاحا: "فهى أداة التأثير للشاعر كي يؤثر في المتلقي، ويشد انتباهه، كما تعد الوسيلة التي يتوسل بها الناقد للكشف عن شاعرية الشاعر.

وهذه الصورة تشمل الصورة الأدبية، والصورة البلاغية، والصورة البيانية، والصورة المجازية). (٤)

والصورة في نظر عبد الفتاح نافع: "تلعب دورا بارزا في توضيح المعنى، وتثبيته في ذهن المتلقي، فتقوم الصورة على التشبيه، والاستعارة والطباق، وهذا يشير إلى أن الصورة تدل على كل ما له صلة بالتعبير الحسي." (٥)

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، مادة (صور)، ط ثالثة، دار صادر بيروت ١٤١٤هـ.
(٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، مادة (صور)، دار الخلود للتراث.
(٣) سورة آل عمران آية (٦).
(٤) الصورة الأدبية، تأريخ ونقد د/ علي صبح، ص ٤، دار إحياء الكتب العربية، مصر.
(٥) الصورة في شعر بشار بن برد، د/ عبد الفتاح نافع، ص (٥٠)، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان ١٩٨٣م.

أما وظيفة الصورة فهي تقوم على: (شرف المعنى، وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف، والمقاربة في التشبيه.) [١].

٢- **تعريف البيان:** هي كلمة "تعنى الظهور والوضوح، نقول: بان الشيء يبين: إذا ظهر واتضح، والبيان: ما بيّن به الشيء من الدلالة وغيرها، وبان الشيء بيانا: اتضح، فهو بيّن والجمع: أبيناء، والتبيين: الإيضاح.

ومن معاني البيان: الفصاحة واللسن، وكلام بيّن: فصيح، والبيان: الإفصاح، وفلان أبين من فلان أي: أفصح منه، وأوضح كلاما، ورجل بيّن: فصيح".[٢]

قال تعالى: (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا) [٣]

والبيان في الاصطلاح هو: "علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة"[٤]

ثانيا: الصورة البيانية (القيمة) :

إن أهمية الصورة البيانية تكمن فيما تحدثه في المعاني، من خصوصية وتأثير، وجذب فهي تعمل على تحسين المعنى، وتزيينه، وفى هذا الإطار تحدث الجاحظ والمبرد، وابن المعتز عن أهمية الكنايات، والتعريض، والتلميح[٥]

---

(١) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، ص (٥٦) المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة، بيروت ١٩٩٢م.

(٢) علم البيان د/ عبد العزيز عتيق، ص (٣١: ٣٣)، دار النهضة العربية للطباعة والنش،ر بيروت ١٩٨٥م.

(٣) سورة القصص آية (٣٤).

(٤)الإيضاح في علوم البلاغة القزويني ج١ ص (٣٢٦) شرح وتعليق د/ محمود عبد المنعم خفاجي دار الكتاب اللبناني ط سادسة سنة ١٩٨٥م.

(٥)الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور ص (٣١٩) .

يقول الجرجاني صاحب كتاب (الوساطة): "إن الاستعارة تعد أحد أعمدة الكلام، فيها يتوصل إلى تزيين اللفظ، وتحسين النظم والنثر." [١]

أما الإمام عبد القاهر الجرجاني: "فقد أشار إلى أن المعنى عندما يرد عن طريق التمثيل، فإنه يرد إلى المتلقي بشكل غير مباشر، لا يتجلى، ولا يتضح إلا بطول تفكير، وتحريك الخاطر، وكلما كان التمثيل ألطف، كان إمتاعه على المتلقي أكثر وإباؤه أظهر...) [٢]

ولذلك وجدنا أن الصورة الفنية التي تقوم على (التشبيه أو الاستعارة أو الكناية)، فأهميتها تظهر في تقديم المعنى، ومدى تأثيره في نفس السامع .

ولذلك كانت مهمة الصورة عند د/ حفني شرف "أن تكون مولعة بكل ما هو جميل، أما المجاز فهو يكسو الصور الأدبية جمالا، وروعة تجذب إليه النفوس."[٣].

(١) الوساطة للقاضي الجرجاني ص (٤٢٨) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم البجاوي دار إحياء الكتب العربية القاهرة ط ٣ مطبعة عيسى الحلبي ١٩٩٦م.

(٢) أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني ص (٤١) تحقيق محمد محمود شاكر ط أولى سنة ١٩٩١م.

(٣) الصورة البيانية بين النظرية والتطبيق د/ حفني شرف ص ٢٢١ دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٦٥م .

المبحث الأول

الصورة البيانية في شعر محمود حسن إسماعيل

سوف نتحدث في هذا المبحث عن (لمحات من البيئة الريفية في شعر محمود حسن إسماعيل) الذي فُتن بجمال الطبيعة في قريته، وتفتحت عيناه على كل ما هو جميل فيها، حتى جعلها منطلقاً له في سماء الخيال الشعري.

تغنى محمود حسن إسماعيل ببعض مظاهر الطبيعة منها:

المحور الأول: النيل والبحر

وصف الشاعر النيل باعتباره مظهراً من مظاهر الجمال في الطبيعة الريفية المصرية، فقد تحدث عن النيل العظيم، حديثاً ذا شجون، حديث العاشق الولهان المحب لنيله، وأرضه، ووطنه، لذلك جاء حديث الشاعر عن النيل متنوع الأهداف، مترامي الأطراف. (١)

ومعظم الأبيات التي خصها الشاعر لوصف النيل، تشير إلى أنه مظهراً من مظاهر الجمال للطبيعة الريفية المصرية، فهذا النيل لا يتصف بالخلود فقط، بل هو الذي يهب للزمان الخلود.

يقول محمود حسن إسماعيل:

١- يَا واهبَ الخلدِ للزمـان يَا ساقيّ الشِّعر والأغَانيِ(٢)

٢- هاتْ اسْقنِي ، واسْقنِي ، ودعْنِي أهيمُ كـالطيرِ فِي الجِنانِ

٣- يَا لَيْتَنِي موجةٌ ... فَأحْكي إلى لَيـاليكِ مَـا شَجَانيِ

أحب الشاعر النيل حباً كثيرًا، واحتل مكانة عظيمة في نفسه، والدليل على ذلك أنه جعله يهب الخلود للزمان .

---

(١) القصـائد فـي الأعمـال الكاملـة لمحمـود حسـن إسـماعيل هـى (دجلـة والنيـل ص٤١٩) وديوان (الملك والنيل) ص٥٩٥، وديوان(أين المفر) و(النيل نعسان) ص٣٩١، وغيرها من دواوين الشاعر.

(٢) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج١ ص (٥٩٦).

ولعل الصورة هنا تكمن في رسم صورة المجاز المرسل، التي صورها الشاعر للنيل، عندما جعله هو الذي يمد الزمان بالخلود، باعتباره شريان الحياة الذي لا ينضب، وفى ذلك من المبالغة في تصوير إمداد الحياة بالخلود، بوجود النيل، وعلاقة المجاز (السببية)، لأن الفاعل الحقيقي لاستمرار الحياة هو الله تعالى.

ثم ينادي الشاعر النيل، ويصوره بأنه ساقي الشعر، والأغاني على سبيل الاستعارة التي جسمها الشاعر في الأبيات، كي يجعل النيل مصدراً لإلهام الشعراء بالشعر والأغاني، هذه الاستعارة صورت مكامن الشاعر في حبه للنيل الذي أصاب قلبه ووجدانه، عندما جعله سببا لسقيا الشعر والأغاني.

فقد شبه الشاعر النيل في إلهامه الشعراء بالشعر والأغاني بساقي الخمر الذي يسقي به الندماء، فعندما يشرب منه تهيم نفسه بالأغاني، فتحدث النشوة والإلهام، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو قوله: (ساقي) على سبيل الاستعارة المكنية.

أما التشبيه في البيت الثاني: فالمشبه الشاعر نفسه والمشبه به: الطير الذي يطير في الجنان (صورة تشبيهية رائعة) صّور فيها الشاعر نفسه بالطير الذي يشرب من النيل العظيم، فهو هائم في حبه وهواه وأداة التشبيه: الكاف،ووجه الشبه: الحب والحرية .

ثم في البيت الثالث يشبه الشاعر نفسه بموجة البحر (يا ليتني موجة...) تشبيه بليغ محذوف الأداة والوجه.

إن الشاعر يريد أن يكون موجة، ويتخذ من الليالي صديقا يحكي له شجونه وآلامه، ووجه الشبه الخصوصية والانفراد في كل .

وفى إسناد الحكاية إلى الليالي باعتبارها زمان لوقوع هذا الحكي والسرد (مجاز عقلي) علاقته الزمانية .

إن الشاعر هنا أنس بالمكان والزمان، ومظاهر الحسية والجمال، في الأبيات، مما جعلها لوحة فنية استوحاها من واقع بيئته الريفية، واعتمد في

نسجها على الطبيعة، فجعلها لوحة فنية تزخر بأحاسيس ممتزجة من الفرحة والسعادة والحزن.

ولا شك أن عنصر التشخيص واضح في هذه اللوحة، مما أضفى عليها حيوية وحركة ونبض، فالنيل يهب الزمان الخلود، ويهب السقيا لقول الشعر والأغاني والشاعر كالطير في الجنان، وتصويره لنفسه بموجة البحر، وأنه يحكى لليالي ما تشجو به نفسه بعضا من آلامه وأحزانه.

وفى قصيدة (الفردوس المهجور) يشير اهتمام الشاعر إلى النيل، وارتباطه بالريف، باعتباره أنه مصدر حياة، يقول محمود حسن إسماعيل:

١- تَرَقْرَق فِي مَهَّدَهَا جَدْوَل عَطُوفٌ عَلَى الزَّهْر عذِب ، بُرُود

٢- تَسَلْسَل مِنْ نِيلَهِ كالأماني تَرِف عَلَى نَاعِمَاتٌ المهُودِ [١]

إن الطبيعة في شعر محمود حسن إسماعيل ساذجة بسيطة في ثوبها الأول دون تكلف أو نظريات، تحد من حيويتها أو تشكل حركتها، والسر في ذلك أن النيل كان يمر على قرية النخيلة التي كان يسكنها الشاعر متماوجاً منساباً مثل لجين الفضة تحت الأشجار والأغصان.

فالشاعر في هذه اللوحة رسم لنا لوحة فنية جميلة، لمنظر النيل المتماوج فى مياهه تنساب بفيض مشاعره فيه، فصوره بصورة الفضة وهى تتلألأ تحت الأشجار والأغصان، ثم خلع عليه صفة العطف والحنان في كونه (عطوف، عذب، برود) فهو عطوف على الزهر عندما ينحني عليه، ولا شك أن صفة العطف من صفات العقلاء، فهي صورة إستعارية جميلة، كشفت عن مكامن قلب الشاعر عندما شبه النيل بالإنسان العطوف، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو قوله: (عطوف) على سبيل الاستعارة المكنية.

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج١ ص (٢٣)

ثم جعل صورة تراقص الأشجار والأغصان من فرحتها وسعادتها بوجودها على ضفاف النيل العذب تحت جداول المياه، فهو يشبهها بصورة الأوانس الجميلات اللاتي تميزن بالنعومة والجمال، (تشبيه مرسل) مكتمل الأركان، أراد الشاعر من خلاله رسم صورة جميلة لتمايل الأغصان والأشجار على ضفاف النيل، فهى تتمايل حوله كما تتمايل الفتيات الجميلات الحسان بدلالهن وفتنتهن، ووجه الشبه الجمال والسحر في كل.

ويقول الشاعر أيضا في وصف النيل الذي أعاد الحياة وبهجتها لقريته:

١- كلّلتها زَنَابقُ القاعِ، فَازْدا نَتْ كعروسٍ تكلّلتْ بالحُلّي

٢- وشَّحَ النيلُ شاطئها بأبرا دِ ضوافٍ علي الرُّبي والقَنَا [١]

في هذين البيتين نرى الشاعر يرسم صورة لقريته النخيلة وهى في أحضان هذا النيل، وعلى ضفافه أشجار الرُبى والقنا، يشبهها بالعروس المزدانة بأصناف الحُلى، فتكون في أبهى وأجمل صورها ليلة عرسها، وأداة التشبيه: الكاف ،ووجه الشبه: السحر والجمال (تشبيه مرسل) .

يقول عبد القاهر في التعبير عن مدى تأثير التشبيه في التعبير عن المعاني المختلفة: "فان كان التشبيه صريحاً كان أبهى وأفخم، وأنبل في النفوس، وأعظم وأهز للعطف، وأسرع للألف"[٢] ويقول أيضا: (وسبب آخر من أسباب بلاغة التشبيه وتأثيره في النفس، هو التماس شبه للشيء غير جنسه، وشكله لأن التشبيه لا يكون له موقع من السامعين، ولا يهز، ولا يحرك حتى يكون الشبه مقرراً بين شيئين مختلفين في الجنس.) [٣]

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج١ ص (١٣٨)

(٢) أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني ص (٩٣، ٩٤).

(٣)الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج١ ص (٩٥).

ويمضي الشاعر محمود حسن إسماعيل مصوراً النيل المنساب كريق الكوثر المنساب في أحضان قريته الآمنة يقول:

١- تمتّح بالجرةِ مِنْ منهلٍ صافٍ كريق الكوثر الدافق
٢- يَنْسابُ فوق التبْرّ فِي سندسٍ نَضْر، ونخلٍ مُثْمر باسقِ
٣- يهزج في الوادي بأنشودة ألحَانها من وَتَر الخَالق![1]

في هذه الأبيات شبه الشاعر النيل بإنسان ضحوك كريم ينساب ريقه سلاسة وعذوبة من فيض حديثه، مثلما يفيض نهر الكوثر بتدفق الماء العذب منه والذي لا ينضب أبدا.

تشبيه مرسل المشبه: النيل، والمشبه به: نهر الكوثر، وأداة التشبيه: الكاف ووجه الشبه: الصفاء والنقاء والعذوبة في كل.

ثم يأتي البيت الثاني: ويشبه الشاعر فيه مياه النيل العذبة وهى تنساب فوق صفحة النيل متماوجة منسابة مع تمايل الأشجار، والنخيل حوله، فتظهر مياهه وكأنها مثل صورة السندس النضر، وأداة التشبيه: مقدرة، ووجه الشبه: التموج والإنسياب (تشبيه خيالي)، لأن هذه الصورة لا تكاد توجد إلا في الخيال.

وفي البيت الثالث: استعارة تبعية في الفعل (يهزج) المشبه: النيل وهو يجري في الوادي، المشبه به: المغني الذي ينشد ألحانا جميلة، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو قوله: (أنشودة) على سبيل الاستعارة المكنية.

إن الألفاظ التي استخدمها الشاعر في الأبيات في وصفه للنيل بهذه الحركة والانسيابية وهى قوله: (تمتح، ينساب، يهزج)، قد عبرت عن نفس الشاعر الجميلة الذي وصف النيل بالحنان والعطف، والكرم والغناء.

(١) نفسه ص ٣٧ قصيدة عروس النيل.

إن وصف الشاعر للنيل بأنه (منهل، صاف، ينساب، يهزج) كلها ألفاظ تتفق مع حال الطبيعة، في رقة ووداعة، وصفاء كانسياب النيل الهازج.

إن الشاعر نجح في اختيار الألفاظ التي رسمت لنا صورة النيل بهذا الوصف، مما يدل على ما يتمتع به نيلنا العذب من صفاء وعطاء زاخر.

النهر:

كما تغنى محمود حسن إسماعيل بالنيل تغنى بالنهر، وجعله سر الحياة وقدم له جوا مغلفا بالأسرار، وفيه استجاب الشاعر للتجربة الروحية والنفسية، فصّوره بصورة الصوفي المتعبد[١] يقول:

مَعَ النَّهْرُ
سُكُونُه حَيَاة
وَنُطْقُه حَيَاة
والموجُ فَوْقَ صَدْرِه صَلَاة
حِينَ تَنَامُ الرِّيحُ
والموجُ يَسْتَرِيحْ
تَخَالُه نَشْوان فِي أُفُقِ النعسان
أقْدَاحُهُ وُضُوءْ . . .
لِلصَّمْت وَالهُدَوءِ [٢]

في الأبيات السابقة نرى الشاعر يشبه النهر بصورة الصوفي الخاشع، وكل مظاهر الكون تتبعه في خشوعه ودعاءه، وكأنها في سكونها تؤدى صلاة.

وهو من التشبيه الضمني.

(١)الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج١ ص (٣٧) قصيدة عروس النيل.
(٢) نفسه ج١ ص (٤٣٢) قصيدة النهر.

وكذلك الاستعارة المكنية في قوله: (حين تنام الريح ،والموج يستريح) حيث خلع على الريح صفة النوم، وخلع على الموج صفة الراحة ،وهما من صفات الأناسي، فالمشبه: الريح والموج، والمشبه به: الإنسان الذي من صفاته النوم والراحة، ثم حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو قوله: (تنام ويستريح) على سبيل الاستعارة المكنية.

كذلك التشبيه المرسل في قوله: (تخاله نشوان) المشبه: النهر، والمشبه به الصوفي الخاشع المتعبد، وأداة التشبيه: مقدرة، ووجه الشبه: الزهد والخشوع في كل.

إن تتابع الصور البيانية وتزاحمها في الأبيات في قوله: (سكونه حياة، نطقه حياة، والموج فوق صدره صلاة، حين تنام الريح، والموج يستريح، تخاله نشوان، في أفق النعسان) جعل الشاعر من أبرز الشعراء الذين تفوقوا في هذا المجال حيث خلع على النهر صفات الأناسي (من سكون ونطق وحياة وصلاة....) إلخ

يقول الدكتور عبد العزيز عتيق إن التشبيه المجمل له وجهان:

أ) ما كان وجه شبهه ظاهر يفهمه كل أحد حتى العامة كقولنا: (زيد أسد) إذ لا يخفى على أحد أن المراد به التشبيه في الشجاعة دون غيرها .

ب) أو ما كان وجهه خفي لا يدركه إلا من له ذهن يرتفع به عن طبقة العامة كما في قول فاطمة بنت الخرشب: عن أولادها أيهما أفضل؟ فقالت: هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها) [1]

(١)علم البيان د/ عبد العزيز عتيق ص ٩١.

المحور الثاني: (الأزهار والرياحين)

إن الريف المصري وبخاصة على ضفتي النيل، يتمتع بطبيعة جميلة ساحرة وخلابة، ففيه الحقول والنباتات الخضراء، والأشجار المورقة والظلال الورافة والثمار الناضجة، ولا شك أن هذه الطبيعة الملهمة، قد أثرت في محمود حسن إسماعيل الشاعر، فقد ازدانت قصائده بشتى صور الطبيعة الفاتنة التي بث فيها أشجانه وألحانه وأمتعنا بها في أشعاره.

وقد احتلت الأزهار والرياحين جزءاً من أشعار محمود حسن إسماعيل حيث أفرد العديد من القصائد في وصفها[١] والتغني بها.

يقول:

١- زَهْرةُ الوادي تجلّتْ كَعرُوسٍ للربيعْ
٢- زانَها الحُسْنُ بِطَلّ خاطفِ اللّمحِ لَموعْ
٣- فهو دُرٌ في لماها وعلى الجفن دُموعْ[٢]

صور الشاعر الزهرة بطريقة بسيطة وفطرة نقية، عندما بدت وكأنها عروس في أبهى حللها للربيع، الذي يضفى ببهائه وجماله على كل شيء، فقد زانها بطلٍ ندى وقطرات خفيفة إن هذه الزهرة المتبرجة قد أخذت كل أوصاف العروس، فهي تترصع بأنواع الدّر كي تبدو جميلة، وتدمع من الفرح والسعادة وكلاهما يزدان بندى الربيع، فالمشبه: الزهرة، والمشبه به: العروس الجميلة، وأداة التشبيه: الكاف، ووجه الشبه: الجمال والحسن، والتشبيه هنا مرسل.

وبتلك الروح الجميلة يستمر محمود حسن إسماعيل في وصف الزهرة لينقلنا إلى فصل الشتاء، وبين لنا مشاعره نحوها يقول:

١- وَبَكَتْ ترْثي شتاء حَائِلًا يشْكُو النُّزُوعْ

(١) الأعمال الكاملة محمود حسن إسماعيل قصيدة(دُرّ ودمع) ج١ ص (٧١) ، قصيدة زهرتي ج١ ص ١٢٤، قصيدة اليتيمة ج ١ ص (٦١٩).
(٢) نفسه ج١ ص (٧١).

٢- كَم أساها حِين أذواها ببرد وصقيعْ
٣- فَتَعَرّى مِن كسَاء مِنْ حُلّى الزَّهْر بَدِيعٌ
٤- عَاش عُرْيَانًا فلمَّا مات وَشَاة الرَّبِيعْ!![1]

إن حديث الشاعر عن هذه الزهرة، حديث المعايش لها، الخبير بها لأنه الريفي البسيط الذي ذاق حلاوة الربيع، لذا وجدناه في هذه القصيدة قد ملأها بالتشخيص وخلع السمات الإنسانية عليها.

ففي قوله: (وبكت ترثى شتاء حائلا يشكو النزوع) نرى الشاعر يرسم لوحة فنية للزهرة بطريقة الاستعارة المكنية، المشبه: الزهرة حزينة باكية متألمة على فراق صاحبها (الربيع)، والمشبه به: صورة المحبوب الذي يبكي من فراق محبوبه والجامع المحبة والألم عند الفراق.

ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو (تبكي) على سبيل الاستعارة المكنية، إن الاستعارة صورت وجسمت لقاء معنويا، وكأنه لقاء حسيا بين عاشقين يفترقان ألماً وبكاءً.

وكذلك الاستعارة التبعية في الفعل (ترثي شتاء) .

حيث شبه الشاعر الزهرة وهى ترثي حالها في فصل الشتاء حزينة باكية تتأثر بالبرد والصقيع،والمشبه به: حال الإنسان الذي يرثي صاحبه عند الموت والفراق، ووجه الشبه: الحزن والألم في كل، وقد حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (ترثى) على سبيل الاستعارة المكنية.

ثم تأتى الاستعارة الثالثة في البيت الثالث والرابع في قوله:

١- فَتَعَرّى مِن كسَاء مِنْ حُلّى الزَّهْر بَدِيعٌ
٢- عَاش عُرْيَانًا فلمَّا مات وَشَاة الرَّبِيعْ!! [2]

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج١ ص (٧٢) قصيدة (دُر ودمع).
(٢) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج١ ص (٧٢) قصيدة (در ودمع).

حيث شبه الشاعر زهرة الوادي، وقد جاء الشتاء بعواصفه، وبرودته وصقيعه، فتأثرت به، والمشبه: الزهرة وهى تتعرى من كسوتها في فصل الشتاء لتعرضها للبرد والصقيع، والمشبه به: الزهر عندما تسقط أوراقه في فصل الشتاء فيكون ذابلا جافاً.

وكذلك الاستعارة في قوله: (فلما مات) فقد شبه انتهاء الشتاء وزواله بموت الإنسان وفناؤه، ثم حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (مات) على سبيل الاستعارة المكنية.

ويقول محمود حسن إسماعيل في زهر السوسان:

١- تَتَفَّس سَوْسَانُها عَن شذيٍ كَحلْمِ الأزَاهَيرِ ذَاك شُرُودْ

٢- يضوع لَنَا شِقّه بالشبابِ والأمل المُسْتَطابَ السَّعيدْ

٣- إذَا استافه العَاشِق المستهامِ تنسّم رَيَّاء طَيْف العُهودْ

٤- وَيُنْشِقُه الطَّيْر فَوْق الْغُصُونْ فيسكب فِي الرَّوْضِ خَمْر القصِيدْ[١]

في الأبيات السابقة يصف لنا الشاعر النيل، فيأسره جمال الريف وسحره والطبيعة الفاتنة من حوله، فينظر إلى الروض الجميل، وقد ازدان بالأزهار والريحان والنباتات الخضراء، فهذه الأزهار تتمتع برائحة ذكية تمنح الشباب والأمل لكل من يستنشق هذا العطر.

فالمشبه: زهر السوسان الذي يفوح منه رائحة ذكية، والمشبه به: حلم الأزاهير وهو العاشق الذي يتضوع أجمل العطور عندما ينتظر مقابلة محبوبه. وأداة التشبيه الكاف، ووجه الشبه الرائحة الجميلة والعطر الحسن.

ثم جاءت الاستعارة التمثيلية في البيت الثالث في قوله: (تنسم رياء طيف العهود) حيث شبه امتنان العاشق بمحبوبه، وانتظار مجيئه بعطره الفواح الجميل بالطيف أو الخيال الساري الذي يتنسم رياء، عندما يزوره طيف المحبوب في منامه.

---

(١) نفسه ج١ ص (٢٢) قصيدة (الفردوس المهجور).

وتأتى الاستعارة أيضا في البيت الرابع في قوله: (فيسكب في الروض خمر القصيد) المشبه: الطير فوق الغصون مغردا، والمشبه به: الشاعر ينشد أجمل القصائد وأعذب الكلمات في الغزل بمحبوبه، ثم حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية .

وعن وصف الريحان يقول الشاعر:

١- وكأنَّ الريحان مِنْ رونقِ الخُضرة صيغت عيدانه مِنْ زَبرجدِ

٢- ضَاعَ مِنْ كُمَهَ الْعَبِير كَعْذَرَاء بَرَاَها الْهَوَى فراحَتْ تَنَهدِ .

٣- وتخال الضحى عليه بُرُداً فُصّلتْ مِنْ سَنَا شُعاع وعسجدِ[١]

في الأبيات السابقة: جاء التشبيه في البيت الأول، فالمشبه: زهر الريحان الأخضر، والمشبه به: الزبرجد الأخضر(تشبيه خيالي)، لأن صورة المشبه به لا توجد إلا في الخيال، وأداة التشبيه: كأن، ووجه الشبه: الخضرة والجمال في كل.

وفي البيت الثاني: جاء التشبيه المرسل حيث شبه الشاعر ضياع العبير من الريحان، وفقدانه لرائحته الذكية، بالعذراء التي هزلها الحب والعشق، فالمشبه: زهر الريحان الأخضر وقد فقد عبيره الفواح، والمشبه به: الفتاة الجميلة التي هزلها الحب والهوى، وأداة التشبيه: الكاف، ووجه الشبه: الضعف من شدة الوجد والعشق.

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج١ ص (٦٢) قصيدة (عند زهرة الفول).

المحور الثالث: (الطيور والفراشات)

إذا تأملنا شعر محمود حسن إسماعيل لنقف على صورة (الطيور والفراشات) في شعره، نجد هذا الشاعر قد عاش حياة الريف المصري بكل أبعادها، كما عنى برسم صور متعددة في شعره، لهذا الجمال الطبيعي، ونجح في نقلها في إتقان محكم، لذا فقد عنى الشاعر عناية فائقة بوصف أنواع كثيرة من أنواع الطيور، وهي (العصافير والبلابل، والديك، والهدهد، والغراب) وغيرها.

أ- العصافير:

إن الشاعر محمود حسن إسماعيل قد شجاه تلك الأنغام الصادرة من العصافير فشدا قائلا:

١- لَنَا العطرُ إذا فَاحتْ بَوَادينِا الأزاهيرُ

٢- وعَذْبُ اللَحَنِ إن غنت عَلَى الأيْكِ العَصَافيرُ [١]

ففي البيتين السابقين: يؤكد الشاعر على أن جمال الطبيعة يعد مصدر سعادة للإنسان، فإذا ما تفتحت الأزهار، استمتع بعطرها الفواح، وإذا غنت العصافير، شجته عذوبة الألحان.

والتشبيه في البيت الثاني (ضمني) المشبه: شدو العصافير وغناؤها فوق الأيك فتصدر أجمل الأصوات، والمشبه به: الغناء الذي يصدره المُغنى، وهو يمتعنا بأعذب الألحان وأجملها فما يلقى إلا امتنانا عليه، ووجه الشبه: عذوبة الصوت.

ب- (البلابل)

من الطيور التي تغنى بها الشاعر، ولكنها قد تثير في بعض الأحيان عواطفه وتجدد آلامه.

يقول محمود حسن إسماعيل:

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج١ ص (٨٦) قصيدة (من فم الراعي).

فشَدَا فِي رُباكَ بُلبلٌ أيكٍ هيّجتهُ خَوَاطرُ بالعَشِّـيّ
صرّخَ البُؤسُ فِي أَغَانِيهِ لهفَّانِ عَلَى فَرْعِهِ الرَطّيبْ الجنيّ
نَاحَ في جَنةٍ تُلّقن شَادِيهَا نشيدُ الهناءةِ السّحريّ (١)

في الأبيات السابقة يصور الشاعر (البلبل) وهو يشدو بنغمة حزينة يتخللها الأسى والبؤس، فينكر الشاعر نواح هذا البلبل في تلك الجنة التي تلقن شاديها نشيد الهناءة والسعادة، ولكن يبدو أن البلبل يأس على تلك الجنة الهاجعة وهى قرية الشاعر وأهلها البائسين فناح فيها.

والاستعارة هنا تمثيلية، حيث شبه هيئة البلبل الحزين، وهو يشدو بأغان باكية حزينة على هذه الجنة التي تركها أهلها، وأصبحوا بائسين بهيئة الإنسان الحزين البائس يصرخ في بؤس وحزن، ولهفة على فقدانه لموطنه ومكانه.

إن هذه المشاركة الوجدانية التي أشاعها الشاعر بينه وبين البلبل، قد استدعتها أحاسيس الشاعر لتصوير ألم البؤس والفقر.

كما أن في قوله: (صرخ البؤس)، استعارة مكنية حيث شبه البؤس بإنسان يصرخ من شدة الألم، ثم حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو قوله: (صّرخ) على سبيل الاستعارة المكنية.

وكذلك الاستعارة في قوله (ناح في جنة) المشبه: صوت البلبل الحزين، والمشبه به: صوت النائحة ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو قوله (ناح) على سبيل الاستعارة المكنية.

وأحيانا نرى الشاعر محمود حسن إسماعيل يصف البلبل، وهو معجبا بنفسه فوق الأغصان، يصدر أعذب الألحان وأجملها يقول:

١- والعاشقُ البلبل في عشهِ ... أَسْرَف فِي نَجْوى مَعَامِيدهِ
٢- يَخْتالُ فَوْقَ الغُصنِ مستلهماً ... وَحْي الهوى مِنْ روحِ معبودهِ

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج١ ص (٨٦).

٣- أَقَام لِلْبُسْتَان عِيدًا للهَوَى ... فَرَاحَ يلهو الروض فِي عِيدهِ
٤- لَمْ يَسْمعْ النوحُ لمخنوقةً ... تَشْكو إلى الدّهرِ أسَى قيدهِ[١]

في هذه الأبيات الأربعة صور الشاعر هذا البلبل العاشق المختال المتكبر الذي أقام عيداً للهوى والحب، لهى به في ذلك الروض، ولم يسمع لنوح المتوجعين ولا لشكواهم، وهذه الأبيات تحمل إشارة رامزة إلى (الباشا) الذي يمتلك القصور والأموال الطائلة وهو في قصره المنيف يلهو ويرقص، ولا يسمع لأنين المتوجعين من الفقراء والمحتاجين.

فالمشبه: هيئة البلبل العاشق مغترا بصوته الرنان فوق الأغصان.

والمشبه به: هيئة الرجل الثري مغتراً بأمواله الكثيرة، فيتكبر على غيره من الفقراء والمساكين، وهو من التشبيه الضمني.

إن الصورة التي رسمها الشاعر في الأبيات تصور مدى حزن الشاعر وتألمه، من ذلك البلبل المتكبر، الذي أقام عيدا للهوى لهى به الروض في البستان، واغتر بصوته الرنان كما اغتر الثري بماله وضيعته.

(الديك)

من الطيور التي أُعجب بها الشاعر، ووصفها من واقع بيئته الريفية (الديك)

يقول محمود حسن إسماعيل :

١- يُلقي عليك الديك أرجوزة غنّى بها إصباحه السافر
٢- كأنهُ يَنْعي مَمَات الدُجى ونَعْشهُ فوق الرُبى سَائرٌ
٣- أَوْ أنَّهُ يشدو لعرسِ السَّمَاء ونُورها ضافي السَنا طَافرٌ
٤- أَوْ أنَّهُ يسْمع ركْب المُلا كَذا يُديل الأولُ الأخرُ[٢]

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج١ ص (٤٩) قصيدة القيثارة.
(٢)الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج١ ص (١٤) قصيدة الكوخ.

إن التشبيه الذي أشاعه الشاعر من خلال هذه الأبيات، عندما أعجب بصوت الديك وصياحه، هذا الصياح في نظر الشاعر صّوره بأنه :

التشبيه الأول المشبه: صوت الديك وصياحه.

والمشبه به: الأرجوزة التي ينشدها الشاعر، وأداة التشبيه محذوفة، ووجه الشبه: الغناء والشدو في كل، (تشبيه مجمل مفصل).

والتشبيه الثاني المشبه: صوت الديك الحزين.

والمشبه به: الناعي الذي ينعي صاحبه عند موته، وأداة التشبيه الكاف، ووجه الشبه: الحزن والبكاء (تشبيه مرسل مجمل).

والتشبيه الثالث المشبه: صوت الديك الجميل.

والمشبه به: صوت شدو الملائكة لعرس في السماء، وأداة التشبيه محذوفة، ووجه الشبه: الصوت الجميل العذب (تشبيه مجمل).

والتشبيه الرابع المشبه: صوت الديك. والمشبه به: الأنشودة التي يتغنى بها الإنسان في الصباح ويزف بها النور للناس، والأداة محذوفة، ووجه الشبه: النغم العذب الجميل (تشبيه مجمل مفصل).

ناهيك عن الطباق الذي بين لفظي (الأول، الآخر).

د- البومة:

من شدة إعجاب الشاعر بهذه الطيور، واندماجه معها، رأى فيها ما لا يراه غيره، فالبومة تحكى التشاؤم والفقر، والإلحاد، والهدهد دليل التقوى.

يقول الشاعر مخاطبا هذه البومة:

١- ألحدت بِالنُّور وَكُلّ الْوَرَى لولاهُ ما خفوا إلى موْردِ

٢- حَيَاتُهُمْ مِن لَمْحَة وَمْضَة لوْلاهُ لم تُخلق ولم توجدْ

٣- إنْ عزَّفي الدُّنيا دَلِيلُ الهُدى فحسُبك اليومَ تُقى الهدهدِ![1]

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج١ ص (١١٢) قصيدة (البومة والملحد).

في هذه الأبيات السابقة يخاطب الشاعر هذه البومة التي ألحدت بالنور هذا النور، الذي استمد منه الورى وجودهم، وحياتهم، كما يرى الشاعر في الهدهد وداعة تشبه سمات النساك، فهذا الهدهد خير دليل على الهدى والرشد .

والاستعارة جاءت في البيت الأول: حيث شبه الشاعر إنكار البومة للنور بالملحد الذي ينكر الدين.

فالمشبه: البومة وقد ألحدت بالنور، والمشبه به: الملحد الذي ينكر الدين، ثم حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو (ألحدت) على سبيل الاستعارة المكنية.

والتشبيه البعيد جاء في البيت الثالث في قوله: (فحسبك اليوم تقى الهدهد)

فالمشبه: الإنسان الورع التقي الذي يدل الناس على طريق الهدى .

والمشبه به: الهدهد في وداعته وتقواه، وأداة التشبيه: (حسبك)، ووجه الشبه: الهداية.

والتشبيه هنا بعيد، لأن أداة التشبيه (حسبك) يقول د/ عبد العزيز عتيق: "أما إن بعد التشبيه أدنى تبعيد قيل: خلته، وحسبته ونحوهما لبعد الوجه عن التحقق، وخفائه عن الإدراك العلمي، وذلك لأن الحسبان ليس فيه الرجحان، ومن شأن البعيد عن الإدراك أن يكون إدراكه كذلك، دون التحقق المشعر بالظهور وقرب الإدراك." (١)

ويشبه الشاعر أيضا البومة في شكلها، وأنها رمزاً للتشاؤم والبؤس، والمشبه به: الكافر الملحد الذي ينكر وجود الدين، وينكر وجود الخلق، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو قوله: (ألحدت) على سبيل الاستعارة التمثيلية .

---

(١)علم البيان ٧٩ ،٨٠.

هـ- الفراشات:

أما عن وصف الفراشات في شعر محمود حسن إسماعيل، فنجد أن الفراشة عند الشاعر لها صورتان، الأولى: صورة العروس التي تُزف لزاهي الورود والسعادة تغمرها من كل جانب في فردوسها المهجور، والثانية: صورة راهبة الضحى.

أما الأولى يقول فيها الشاعر:

١- تَرَفُّ الفَراشة فِي حَوْضِهِ رَفِيفُ الْمُنَّى فِي مَجالِي السُّعُودْ
٢- تَحُوم فِي مَوْكِبِ زاخرِ من الضَّوْء غَشَّى عَلَيْه الهمود
٣- تَرَاهَا وَقَدْ كُلّلَتْ بِالضياءِ عَرُوسًا تُزفُ لزاهي الْوُرُود [١]

في هذه الأبيات يصور الشاعر الفراشة الجميلة تتنقل بين أحضان النيل سعيدة مبتهجة عليها ضوء الصباح، مثل هيئة العروس الجميلة الناعمة التي تزف في أبهج ثيابها، ومن حولها الورود والسعادة تغمرها من كل جانب.

فالمشبه: الفراشة سعيدة مبتهجة، والمشبه به: العروس الجميلة، وهى تزف في أجمل حللها، والورود حولها، وأداة التشبيه محذوفة، ووجه الشبه: الجمال والسحر في كل.

تشبيه بليغ محذوف الأداة والوجه.

أما الصورة الثانية: وهى التي أفرد فيها الشاعر، قصيدة كاملة لقبها بـ(راهبة الضحى) يقول محمود حسن إسماعيل فيها:

١- تَعَالَّي نَطُر فِي سَمَاءِ الْخَيَالِ ونهْفُ بجنتِه النائيةْ
٢- بَعِيدًا عَنْ الْكَوْنِ حَيْث الْمُنَى تَرِف بِظْلاله هانِيهْ
٣- تَرُوح عَنَّا شُجون الحياة وتطغي لَظَى الْكَبِد الواريه
٤- هُنالك لَا أُدمع ثَرَّةٍ تَهَاوَى وَلَا مُهْجَة شاكية [٢]

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج١ ص (٢٤) قصيدة (الفردوس المهجور).
(٢) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج١ ص (١٢٨).

في هذه الأبيات جعل الشاعر (الفراشة) صديقة له، في رحلة خيالية بعيدا عن هذا الوجود الذي ضاق منه الشاعر، وأصبح لا يتحمل شجونه وآلامه، لذا اصطحب الشاعر الفراشة إلى عالم المُثل حيث السعادة الأبدية هناك.

فالشاعر يصاحب (الفراشة) يقول لها: (تعالى نطر في سماء الخيال) وقد وقع التشبيه الضمني في الأبيات، حيث شبه الشاعر الفراشة براهبة الضحى التي يريد منها أن تحلق معه في سماء الخيال، حيث السعادة والهناء بعيدا عن الشجون والأحزان.

فالمشبه حال الفراشة تطير في سماء الخيال، والمشبه به: حال راهبة الضحى تريد العيش في عالم المثل.

يقول د/عبد العزيز عتيق:

"إن التشبيه الضمني تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يلمحان في التركيب، وهذا الضرب من التشبيه يُؤتى به ليفيد أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن.

والشاعر يلجأ إلى هذا النوع من التشبيه من أجل التفنن في أساليب التعبير والنزوع إلى الابتكار، والتجديد، وإقامة البرهان على الحكم المراد إسناده إلى المشبه"[1] وهى الفراشة التي تطير في عالم الخيال، كي تعيش حياة هانئة سعيدة.

ولأن التشبيه كلما خفي ودقّ كان أبلغ في النفس.

(١) علم البيان ص (١٠١، ١٠٢).

المحور الرابع : (الفلاح المصري)

اهتم الشاعر محمود حسن إسماعيل بالفلاح، اهتماماً كبيراً فقد أبرز الشاعر عناء الفلاح، وإخلاصه في خدمة الأرض، وإصراره على تحقيق الخير فيها، راضياً بعيشته، قانعاً بقوت يومه، فنراه يصف كوخ هذا الفلاح البسيط، ويصف الدخان المتصاعد منه بقوله:

١- تَنَفَّسَت بِضَنَّاهِ الْمُرّ شاكية ... آلْأُمّ شَيْخ رقيق العيش مَغْلُوبْ
٢- طِبّ بِفَنّ الثَّرَى إنْ مَسَّ قَاحِلَةٌ ... يَعُود رَيّان مفتن التعاشيبْ
٣- تَزْهُو بِهِ جِنَّةٌ لِقَاء ناضرة ... مخضلة آلَائِك تذكر نافَح الطَّيِّبْ
٤- لَكِنَّهُ فِي مَجَالِ الرِّزْق مُرْتَفَق ... بعاثر مِن سواد الحظ منكوبْ !
٥- طَعَامِه لُقْمَة عَفْرَاء يابسة ! ... وَالْمَاءِ مِنْ أكدر في النزمربوبْ !
٦- ومهده لَا تَسَلْ أَن لَفّه وَسُنّ ... عش الهوام وَأَبْيَات العناكيبْ !
٧- كَأَنَّه حُكْمُه عَمْيَاء نائمة ... فِي عَاطِلٌ مِن فِجَاج الْفِكْر مخروبْ[1]

في الأبيات السابقة رسم الشاعر صورة للفلاح المصري، وقد أبدع الشاعر في تصويره لهذا الفلاح، وحياته البسيطة، فعلى الرغم من أن هذا الفلاح (طبيب) مختص بالتربة خبير بما يصلحها، إلا أنه متعثر في مجال الرزق، فطعامه كسرة من الخبز يابسة، وشرابه من ماء آسن، وبيته يشبه بيوت العناكيب (هكذا صور الشاعر حياة الفلاح المصري البسيطة).

في البيت الأول: جاءت الاستعارة في قوله: (تنفست بضناه المر شاكية) المشبه: تذوق الفلاح لكل أنواع المر والشقاء في أرضه، المشبه به: الإنسان يتنفس مُرّ الحياة والفقر فيها، ثم حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو قوله: (تنفست) على سبيل الاستعارة المكنية.

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج١ ص (٩٤، ٩٥) قصيدة أحزان الغروب. المفردات: طب: بارع خبير، آلام شيخ: الفلاح المحروم، النز: الماء يتحلب من الأرض، مربوب: طيبه وأجاده، مخروب: المثقوب والمعطل.

وفى البيت الثاني: ظهر التشبيه في قوله: (طب بفن الثرى) المشبه: الفلاح المختص بالتربة الخبير بها، والمشبه به: الطبيب المختص بعلاج للمريض، ووجه الشبه الاختصاص بفن معين، وهو تشبيه بليغ محذوف الأداة والوجه .

وفي البيت السابع: جاء التشبيه في قوله: (كأنه حكمة عمياء نائمة) حيث شبه هيئة الفلاح في حياته البسيطة، والتي استرسل الشاعر في وصفها، في الأبيات السابقة، شبهها بالحكمة العمياء في الصبر وعدم الشكوى، فالشاعر يصف صبره وجهده مثل الحكمة التي لا تُدرك، ووجه الشبه معنوي (عقلي) وهذا من (التشبيه المجمل) وهو ما كان وجهه خفي، لا يدركه إلا من له ذهن يرتفع به عن طبقة العامة، كقول فاطمة بنت الخرشب عندما سُئلت عن بنيها أيهم أفضل؟ فقالت: هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفها) [١]

إن صورة التشبيه التي أشاعها الشاعر، كشفت عن أصالة هذا الفلاح من خلال براعة التصوير، وقوة الخيال وصدق العاطفة لدى الشاعر.

ويقول أيضا محمود حسن إسماعيل في شأن الفلاح[٢]:

١- يَنْعي عليه تحت جُنْح الدجُّى شيخُ الليالي بُومها الَّصافرُ
٢- وَيشْتكي بَلْواهُ رأدَ الضُحى حَمامُهُ المُسترحِمُ الذَّاكرُ
٣- سُمَّاره في اللّيل أنْعامهُ والنَّجمُ، والنَّابحُ، والخائرُ [٣]

في الأبيات السابقة بيّن الشاعر مدى تعاطف عناصر الطبيعة مع حال الفلاح المصري، ففي الدجى ينعى حاله مع البوم، وفى وقت الضحى يشكى الحمام حاله، وفى الليل سُمّاره (الأنعام والنجم، والنابح، والخائر).

(١) علم البيان ص (٩١، ٩٢) رأد الضحي: انبساط شمسه.
(٢) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج١ ص (٢٣).
(٣) النابح: صوت الكلب، والخائر: صوت البقر.

وقد جاء التشبيه في البيت الأول في قوله: (شيخ الليالي) المشبه: الفلاح المصري والمشبه به: شيخ الليالي، وقد حذف المشبه وتقديره (هو) يعود على الفلاح، وأداة التشبيه مقدرة، ووجه الشبه: الالتزام بمعالم الدين على الرغم من تفانيه في أرضه نهارا.

وظهرت الاستعارة في قوله: (ينعى عليه تحت جنح الدجى) المشبه: تعاطف البوم مع حال الفلاح، والمشبه به: الإنسان الذي ينعى ويعزى صاحبه في فقد عزيز عليه، بجامع التعاطف والمشاركة في كل.

والاستعارة تبعية في الفعل (ينعى)، مكنية حذف منها المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (ينعى).

وتأتى الاستعارة أيضا في قوله: (ويشتكى بلواه رأد الضحى حمامة المسترحم) المشبه: تعاطف الحمام مع الفلاح في وقت الضحى، والمشبه به: تعاطف الإنسان مع أخيه في النكبات، ووجه الشبه: التعاطف والمشاركة الوجدانية.

والاستعارة تبعية في الفعل (يشتكى)، مكنية حذف منها المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه (يشتكى)، لأن الشكوى من صفات العقلاء وليست من صفات الحمام والطيور.

وتأتى الكناية في البيت الثالث في قوله:

١- سُمَّاره في الليل أنعامه والنَّجمُ، والنَّابحُ، والخائرُ

حيث جعل الشاعر أنيس هذا الفلاح وجليسه وقت الليل، (الأنعام والنجم والكلب، والخائر)، فالمعهود أن يكون أنيسه من البشر، ولكنه خالف وجعله الأنعام والنجم، والكلب، والبقر، مما يدل على مشاركة مظاهر الطبيعة للفلاح في سهره بالليل، حتى تخفف عليه من تعب، وشقاءه بالنهار في أرضه.

والكناية جاءت في قوله: (النابح) عن موصوف وهو الكلب.

وفى قوله: (الخائر) كناية عن موصوف وهو البقر.

وفى صورة أخرى نرى الشاعر محمود حسن إسماعيل ينظر لهذا الفلاح نظرة الناسك العاشق لأرضه يقول:

١- ناسٌك في الحقولِ هيمانٌ بالأ رضِ يُجْلّي بتربتها دَعْواَتهِ[١]

رسم الشاعر صورة نفسية للفلاح العاشق لأرضه.

فالمشبه: الفلاح المتفاني في أرضه يتعهدها بالزرع والسقى، والحصد وغيره، والمشبه به: صورة الناسك المتعبد الخاشع الذي يطلب رضا خالقه عليه بكثرة دعواته، ووجه الشبه: في العمل عبادة، وهو تشبيه بليغ محذوف الأداة والوجه.

وفى مقام آخر يصور الشاعر الفلاح بالعابد في قوله:

١- ضّمْت حواشيهِ عَلى عابدِ محرابُه مِنْ فَاقةٍ دِاثر

المشبه: الفلاح الذي يهتم بأرضه بحب وتفانى، المشبه به: صورة العابد، ووجه الشبه التفاني في مقام العبادة مهما اختلفت صورة العمل، وهو تشبيه بليغ أيضاً.

وفي صورة أخرى للفلاح يقول محمود حسن إسماعيل:

١- نبي في الضحى سار يُولول في الرُّبى وحدهُ

٢- ويَحْكى للتراب حكايةً أسرارها عندهُ .... [٢]

المشبه: الفلاح المهتم بأرضه، والمشبه به: النبي الذي يدعو قومه إلى الخير والصلاح، والتشبيه هنا بليغ، محذوف الأداة والوجه.

والمشبه مقدر، (هو) عائد على الفلاح.

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج١ ص (٣٠٦) قصيدة (وطن الفأس).

(٢) نفسه ج١ ص (٦٥٨) قصيدة (نبي جائع).

المحور الخامس: نبتة الحقل

أ) نبتة الحقل:

برع الشاعر محمود حسن إسماعيل عندما جعل نبتة الحقل صديقة للفلاح، ورفيقه الدرب تشاركه أحزانه وآلامه يقول:

أتواسيه فِي الضَّني نبتة الحق ... ل ، ويغضى الإنسانُ عن حسراته[١]

رسم الشاعر في البيت صورة نفسية لمأساة الفلاح، عندما جعل نبتة الحقل تواسيه وتسري عنه، وتخفف عن أحزانه وآلامه.

وقد جاءت الاستعارة المكنية في قوله: (أتواسيه في الضنى نبتة الحقل) المشبه: مواساة وتسرية نبتة الحقل للفلاح في التخفيف عنه، والمشبه به: صورة الأخ، أو الصديق الذي يخفف عن صديقه بعض آلامه، ووجه الشبه: المشاركة والمواساة في كل، وقد حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو قوله: (أتواسيه) على سبيل الاستعارة المكنية.

ب) السنبلة:

لسنبلة الحقل أهمية كبيرة في حياة الفلاح المصري، لذا وجدنا الشاعر محمود حسن إسماعيل يتغنى بها، ويصفها بأنها خاشعة الجمال في قوله:

١- وَسُنبلةٌ فَوْق صَدْر الْكَثِيب تَصِيح لأحلامها فِي هُجُودْ
٢- تَهُبّ لإيقاظها فِي الْمَسَاءِ رِيَاح الصِّبَا وَالنَّسِيم الوئيرْ
٣- فتخفق أهْدابِهَا للرياح وتهفو ذَوَائِبِهَا لِلسُّجُودْ
٤- فَتَبْدُو كخاشعة للجمال وَقَدْ لاَحَ تمثاله مِنْ بَعِيدْ [٢]

وصف الشاعر السنبلة في الأبيات بصفات (الطهر والسكون والخشوع والجمال)، وقد اكتسبت هذه الصفات من غارسها وراعيها، ذلك الفلاح الذي

(١)الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج١ ص (٣٠٦) قصيدة (وطن جائع).
(٢) نفسه ج١ ص (٢٥) قصيدة (الفردوس المهجور).

يقوم برعايتها، فقد اكتسبت منه ذلك الطهر وهذا الخشوع، إذ هى تتبعه في صفاته.

جاءت الاستعارة التبعية في قوله: (تصيح لأحلامها) المشبه: السنبلة وهى فوق صدر الكثيب، تصيح وتصرخ على حال ذلك الفلاح، المشبه به: حال الإنسان يصيح ويتحدث، لأن الصياح من صفات الأناسي، وقد حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو قوله: (تصيح).

والمجاز المرسل في قوله :

١- تَهبْ لإيقَاظها فِي المساءِ رياحُ الصِبَا والنسيمُ الوَئِيْرْ

حيث جعل السبب في إيقاظ السنبلة في المساء، رياح الصبا والنسيم العليل، مجاز مرسل، علاقته السببية أطلق السبب، وأراد المسبب.

أما البيت الثالث:

١- فتخفَق أَهْدابها للرياح وتَهْفو ذَوائبُها للسجودْ

فقد جاءت الاستعارة المكنية في قوله: (فتخفق أهدابها للرياح) المشبه: السنبلة، والمشبه: الإنسان الذي له أهداب، (وهى رموش العين) يفتحها ويغلقها كيفما شاء، ثم حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو قوله: (أهدابها) على سبيل الاستعارة المكنية.

وكذلك الاستعارة المكنية في قوله: (وتهفو ذوائبها للسجود).

المشبه: السنبلة في حالة سكونها وهجودها، والمشبه به: حالة الإنسان المصلى الذي يضع جبهته على الأرض أثناء السجود، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو قوله: (ذوائبها) على سبيل الاستعارة المكنية.

أما البيت الرابع:

١- فتبدو كخاشعة للجمال وقَدْ لاحَ تمثالُه من بعيد

ظهر التشبيه المرسل في قوله: (كخاشعة الجمال) فالمشبه: السنبلة في جمالها وسحرها، والمشبه به: المرأة الجميلة الفاتنة الجمال، ووجه الشبه:

الجمال والسحر في كل، وأداة التشبيه الكاف، وهو تشبيه مرسل لذكر الأداة، مفصل لذكر الوجه.

إن تصوير الشاعر لهذه السنبلة الجميلة الفاتنة بأن خلع عليها صفات الأناسي من (صياح ويقظة، وخفق للأهداب، وهجود للذوائب)، إنما كشف عن مهارة محمود حسن إسماعيل في جعل الطبيعة، تتجاوب مع هذه السنبلة، حتى جعلها تنبض بالحياة والنماء.

القطن:

يأتي وصف القطن وتصويره في شعر محمود حسن إسماعيل، من واقع أهمية القطن لدى الفلاح المصري، حيث يقول الشاعر في قصيدة (كنز الذهب الأبيض):

١- يَا عَروُساً لم تُزينها يدُ غَيْرُ كفِّ المبدع الفَن الصُنَّاعِ
٢- يَسجدُ الشاعرُ مِنْ فَتْنِتِه سَجْدة الفَنِ زَهَا حَسناً ورَاعِ[١]

المشبه: زهرة القطن في جمالها الأخاذ، والمشبه به: العروس المزدانة بألوان الجمال الذي لم تلمسه يد غير يد الخالق لها – عز وجل – ، ومن ثم يناديها (ياعروسا لم تزينها يد)، وقد حذف المشبه (زهرة القطن)، واستعار المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية، ووجه الشبه: الجمال والسحر، ناهيك عن وجود الاحتراس في قوله: (لم تزينها يد غير كف المبدع).

وفى مقام آخر يصف زهرة القطن بقوله:

١- وَزَها القطُن واَرْتَدى حُلَّة بيضاءُ كالطُهر فِي جَبِينِ نَبي
٢- نَسَجَتها بَنانهُ حيّرا العقلُ مَدَى فنَها الخصيبُ السريُّ
٣- وارتوى نبْتُها مِنْ العِرقِ الهَامي عَلى تُربك الطهورِ الزّكيّ[٢]

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل، ج١ ص (١٨) قصيدة (الكنز الذهب الأبيض).
(٢) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج١ ص (١٩).

في الأبيات السابقة تشبيه مرسل، المشبه: زهرة القطن وهى بيضاء ناضجة زاهية، مورقة، والمشبه به: صورة البياض والطهر الذي يظهر في جبين النبي الذي يرتدى حلة القداسة والطهر، والعفاف، والتشبيه هنا (مرسل لذكر أداة التشبيه الكاف، مفصل لذكر وجه الشبه).

الفول:

من المحاصيل الزراعية التي حرص الفلاح على العناية بها، مما أدى إلى إنجذاب الشاعر للتغني به، حيث أفرد له قصيدة كاملة تغنى فيها.

يقول محمود حسن إسماعيل:

١- وهُنا الفوُل أَبيْض الزَّهْر نضرٌ ... كسدول الَعفَاف لاحتْ بِمَشْهدِ

٢- وَتَرَى الصادحُ الطَروب ... مِنْ الطَيرِ يُناغَى أليفُه المتوّجدِ

٣- يَتَظنّي ترتيلُه فِي ذَرَا الدَوْ ... حِ صَلاةً مِن الْمَلَائِك تُنْشدِ

٤- وكأَّن الريحانُ مِنْ رَونقِ الخُضرةِ ... صَيغِتْ عِيدَانُه مِنْ زَبْرجدِ[١]

ظهر التشبيه المرسل في البيت الأول، المشبه: زهرِ الفول الأبيض في جمال وبهاؤه، والمشبه به: المرأة العفيفة، وأداة التشبيه: الكاف، ووجه الشبه: الجمال والرقة والعفاف .

وجاء التشبيه الضمني في البيت الثاني والثالث المشبه: صوت الطائر العذب والمشبه به: صوت صلاة الملائكة وهى تنشد، وأداة التشبيه: محذوفة، ووجه الشبه: الرقة العذوبة في كل، تشبيه مؤكد لحذف أداة التشبيه، ومجمل لحذف وجه الشبه.

وفي قوله:

١- وكأَّن الريحانُ مِنْ رَونقِ الخُضرةِ صَيغِتْ عِيدَانُه مِنْ زَبْرجدِ

(١) نفسه ج١ ص (٦١، ٦٢).

جاء تشبيه زهرة الريحان الأخضر، والمشبه: الزبرجد الأخضر (تشبيه خيالي) لأن صورة المشبه موجودة في الواقع، وصورة المشبه به لا تكاد توجد إلا في الخيال وأداة التشبيه (كأن) ووجه الشبه: الخضرة

البرسيم:

حرص الشاعر محمود حسن إسماعيل على تصوير نبات (البرسيم)، فتغنى به في قصيدة كاملة استهلها بقوله:

١- زُمَّارَتي في الحقول كَمْ صَدَحتْ فَكِدْتُ مِنْ فرحتى أطيرُ بِها

٢- الجديُّ في مرتعي يُراقصُها والنحلُ فِي رَبْوَتِي يُجاوبُها[١]

في هذين البيتين: نرى الشاعر قد رسم صورة جميلة لصورة البراءة في أطفال الريف المصري، فصورهم، وهم يلعبون خلف الماشية في الحقول، يمسكون أعواد البرسيم، وقد اتخذوا منه ناياً (مُزْماراً)، يزمرون به في أوقات فراغهم، فترد عليهم الطيور، تشاركهم الفرحة والغناء، وكذلك الجدي والنحل يتجاوبون معهم في هذا الجو المبهج اللطيف.

و قد جاءت الاستعارة التمثيلية في قوله: (زمارتي في الحقول كم صدحت) المشبه: أصوات غناء الأطفال، وهم يزمرون بأعواد البرسيم، والمشبه به: هيئة أصوات صدح الطيور، فتصدر أنغاما جميلة تطرب لها الآذان، وتنسجم معها الأسماع، والجامع هنا: الهيئة الحاصلة من الجمع بين حلاوة الصوت، والنغم العذب الجميل، فيحدث الانسجام والمتعة الجمالية.

إن الاستعارة صورة من صورة التوسع والمجاز في الكلام، كما أنها من أوصاف الفصاحة، والبلاغة العامة التي ترجع إلى المعنى.

وكذلك مجيء الاستعارة في البيت الثاني في قوله: (الجدي في مرتعي يراقصها والنحل في ربوتي يجاوبها) المشبه: تجاوب كل من (الجدي والنحل) مع أنغام هؤلاء الأطفال، فينسجما من حلاوة النغم وطرب الصوت، والمشبه

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج١ ص (١٢٢) قصيدة الناى الأخضر.

به: تجاوب الإنسان مع الموسيقى الهادئة العذبة، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو قوله: (يراقصها، يجاوبها)، والجامع: التجاوب والانسجام مع حلاوة النغم وانسجام الصوت.

إن الاستعارة هنا قد حققت غرضا من أغراضها وهو (الإيجاز) والبيان في صورة مستجدة، وقد زاد من جمالها، أيضا المبالغة الناشئة عن إخراج ما لا يُدرك إلى ما يُدرك بالحاسة، إذ صُيّر بمنزلة ما يُدرك ويُشاهد.

يقول عبد القاهر الجرجاني في شأن الاستعارة: "ولم يتعاط أحد من الناس القول في الإعجاز إلا ذكرها، وجعلها العُمد والأركان فيما يوجب الفضل، وخصوصا الاستعارة والمجاز، فإنك تراهم يجعلونها عنوان ما يذكرون وأول ما يوردون) [١].

النخيل:

تُعد شجرة النخيل من أهم مظاهر الريف المصري، إذ النخيل له أهمية كبيرة ونافعة في حياة الإنسان، فهي شجرة كلها نفع وخير قال تعالى:

(وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا) [٢]

وقوله تعالى: (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ) [٣]

وكذلك الحديث الذي رواه البخاري أن رسول الله – ﷺ – شبه بها المؤمن، فعن عبد الله بن عمر قال: قال رَسولَ اللَّهِ ﷺ: إنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ ورَقُهَا، وهي مَثَلُ المُسْلِمِ، حَدِّثُونِي ما هي؟ فَوَقَعَ النَّاسُ في شَجَرِ

(١) دلائل الإعجاز ص (٣٢٩-٣٣٠).
(٢) سورة مريم آية (٢٥، ٢٦).
(٣) سورة ق آية (١٠).

البَادِيَةِ، ووَقَعَ في نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، قَالَ عبدُ اللَّهِ: فَاسْتَحْيَيْتُ، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رَسولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: هي النَّخْلَةُ . (١)

مما يدل على أهمية النخلة بدليل ذكرها في القرآن والحديث ،ولتشبيه الرسول – ﷺ– المؤمن بها.

وفى تصوير محمود حسن إسماعيل للنخيل، نراه يتعرض له، فيصوره بصورة حية نابضة بالحركة يقول:

١– حَضَنتُه على الضَّني قرية نَا متْ عَلَى شطِّ جدولِ ريفِّي
٢– لاح فِيهَا نَخِيلُها خَافضِ الرَأْسِ كطيفٍ في خَاطرِ صوفيّ(٢)

في البيت الأول: المشبه احتضان القرية (قرية النخيلة) للنخيل ووجوده فيها على ضفاف جداولها، والمشبه به: حضن الأم التي تحتضن وليدها حباً وحناناً ورفقا به، ثم حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (حضنته) على سبيل الاستعارة المكنية.

وفى قوله: (قرية نامت) مجاز مرسل، علاقته المحلية، حيث أطلق المحل وأراد الحال، وهو الناس في القرية.

أما البيت الثاني: فقد جاء التشبيه في قوله: (كطيف في خاطر صوفي) المشبه: النخيل وهو في حالة هدوئه وسكونه، المشبه به: الطيف الذي يمر في خاطر الصوفي المتعبد، ووجه الشبه: الهدوء والسكينة والخشوع، والتشبيه هنا مرسل لذكر أداة التشبيه.

(١) الحديث في كتاب الباري بشرح الإمام البخاري لابن حجر العسقلاني ج١ ص (١٤٥) الباب الرابع كتاب العلم – الحديث رقم (٦١) ط المطبعة السلفية – القاهرة ١٣٨٠ هـ.
(٢) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج١ ص (٤١) قصيدة (القرية الهاجعة) الضمير في (حضنته) يعود إلي الفلاح.

ويقول محمود حسن إسماعيل في شأن النخيل أيضا:

١- وَالنَخلُ فِي صَمْتِ الرياحِ كأنهُ نُسّاك فَجْرٍ أذَّنوا لِصَلاة[١]

صورة أخرى للنخل في شعر محمود حسن إسماعيل، المشبه: النخل في حالة سكون الرياح، والمشبه به: الطهر في نُسّاك أهل الفجر، عندما يكونوا متهيئين لآذان الصلاة، وأداة التشبيه (كأن)، ووجه الشبه: الصفاء والنقاء والخشوع في كل، والتشبيه هنا مرسل لذكر أداة التشبيه.

إن الصورة التي أشاعها الشاعر في البيت للنخيل في حالة سكون الرياح صورة جميلة، ونابضة بالحياة، حينما اختار صورة نساك أهل الفجر (المشبه به) فهذا يشير إلى خصوصية هذه الفئة، فهم في حالة تعبد وخشوع وسكينة، وقد جاءت أداة التشبيه (كأن) لتصور هذا المعنى، فأفادت المبالغة في التعبير عن المعنى الذي أراده الشاعر، مما دلل على مقدرة الشاعر في إظهار إبداعاته الشعرية كي يظهرها في أجمل نطاق، إذ خلع على (النخيل) صفات الأناسي، وهي الخضوع والخشوع.

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل، ج١ ص (٢٢٦) قصيدة (علي مذبح الحرية).

المبحث الثاني

ملامح طبيعة البيئة الريفية في شعر محمود حسن إسماعيل

(الظواهر الكونية)

وصف الشاعر محمود حسن إسماعيل الظواهر الكونية من (شمس وقمر، ونجوم، ونور، وليل، وصباح ... إلخ) وصفا دقيقا من خلال التعبير عن أحاسيسه ومشاعره تجاه هذه الظواهر، ولعل ذلك راجعاً إلى تسلية نفسه من همومها ومتاعبه في الحياة، علّه يجد فيها متنفسا للتعبير عن أشجانه وأحزانه.

ولقد اتفقت مظاهر الطبيعة مع نفس الشاعر التي تعاني مرارة الواقع الاجتماعي، وتنظر إلى الغد مع مقدم فجر جديد، فراح الشاعر ينشد عالمه، فرمز له (بالفجر والصبح والنور والضياء) علّه يجد في هذه المظاهر طُهراً وصفاءً ونقاءً، وبالأخص أن كل وقت يتسم بخصوصية، تحقق للشاعر ما يهدف إليه.

فنراه يتحدث عن هذه الظواهر الطبيعية كالتالي:

١- الأجرام السماوية وتشمل (الشمس والقمر، والنجوم).

٢- أوقات الزمن وتشمل (الفجر والنور، وساعة الغروب، والمساء والليل).

أولا: الأجرام السماوية:

أ) الشمس:

تحدث الشاعر محمود حسن إسماعيل عن (الشمس) في قصيدة كاملة عنوانها (الشمس) وضّح من خلالها أهميتها، وما تبعثه في الكائنات من حيوية وحياة يقول:

مَعَ الشمسُ

جَبِينْها حَيَاة ...

ووجهها حياة...

وَخْطُوها حَيَاة ...
تَمسُّ كُلِّ هامدةٍ فتنبتُ حَيَاة
وتُورقُ العُيونَ الشِفَّاه
مَعَ انتهاءِ الفَجرِ والصّلاة
ويَقظةُ العُصفورِ فِي كِرَاه[1]

هذه القصيدة من ديوان (نهر الحقيقة)، أشار فيها الشاعر إلى (الشمس) هذا الكوكب السماوي الذي جعل الله – سبحانه وتعالى – فيه من الأسرار العظيمة، مما جعلها أصلا لبقاء ونماء المخلوقات.

وفي هذا الجو المليء بفيض نعم الله على الإنسان، ساق لنا الشاعر ألفاظاً حملت معاني غزيرة، حيث جعل الشاعر للشمس (جبين ووجه وخطوات) .

إن الألفاظ التي ذكرها الشاعر في الأبيات جعلت من ساعة شروق الشمس ساعة تدعو إلي التأمل والتدبير في عظمة الخالق، الذي خلق لنا هذا الكوكب السماوي، حيث تستمد المخلوقات منه النور والضياء، والحرارة، والنمو، وكأنها تنفث بأشعتها روح الحياة وبهجتها، ونماءها في المخلوقات.

إن الشاعر محمود حسن إسماعيل بحسه البليغ استطاع أن يجعل للشمس (جبين ووجه وخطوات) علي سبيل الاستعارة المكنية حيث جاءت:

١ – الاستعارة الأولى:

المشبه: الشمس والمشبه به: جبين الإنسان يشع نورا وضياء، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو قوله: (جبينها) على سبيل الاستعارة المكنية.

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج٣ ص (٤٣٩).

٢- الاستعارة الثانية

المشبه: الشمس والمشبه به: وجه الإنسان الذي يظهر به في الحياة، ثم حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو قوله: (وجهها) على سبيل الاستعارة المكنية.

٣- الاستعارة الثالثة

المشبه: الشمس وانتقالها من مكان إلى مكان، والمشبه به: خطوات الإنسان، ووجه الشبه: التنقل وعدم الاستمرار في مكان واحد لمدة طويلة، فبمجرد تنقلها من مكان إلى مكان، يعتبر هذا نعمة من الخالق، وحياة للبشر، إذ لو استمرت في مكان واحد لكان استمرارها فيه هلاكاً البشر.

يقول عبد القاهر الجرجاني: (إن مكانة الاستعارة، وفضيلتها الجامعة تتمثل في أنها تبرز البيان أبدا في صورة مستجدة تزيد قدره نبلا، وتوجب له بعد الفضل فضلا، وأنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد، حتى تراها مكررة في مواضع ولها في كل واحد من تلك المواضع، شأن مفرد وشرف منفرد.

ومن خصائصها التي تذكر بها وهى عنوان مناقبها: أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدّة من الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر، ومن خصائصها كذلك التشخيص، والتجسيد في المعنويات) [١]

ب) القمر:

يحدثنا الشاعر محمود حسن إسماعيل عن القمر، وعن قريته (النخيلة) الهاجعة في ظل هذا القمر بقوله: [٢]

(١) أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني ص (٣٢-٣٣).
(٢) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج١ ص (٤٠).

١- لمعاتٌ مِنْ وَجْنةِ القَمرِ الزَّاهـ ... ـي وَفَيْضٌ مِنْ ثَغْرَهُ الْعَسْجَدِيّ [١]
٢- غَرِقَتْ فِي جَلَالِهِ الرَّوْحَ سُكْرِيٌّ ... مِنْ طلاجامه[٢] الوضئ ألْسُنِي
٣- تَنْهَلُ الْحُلْمُ مِنْ رؤي تَتَجَلَّيْ ... هَامِسَاتٍ بِكُلِّ مَعَنِى خَفِيٌّ
٤- رَائِعَاتُ الْأَطْيَافِ لُمَّاحَةَ الْوَمَضِ ... تُهَادِي عَلِيٌّ مِهَادِ رَضيّ

في هذه الأبيات المشبه: هيئة (القمر) وقد سطع في سماء قريته بلمعات من وجناته الزاهية، وفيضوات من ثغره العسجدي، والروح من هذا الضياء سكرى، وكأن القمر قد سكب كاسات ضيائه، وذرات شعاعه، كل ألوان الخمر التي تبعث الرؤى، وتهمس إلى النفس، بمعاني لطيفة خفية، والمشبه به: هيئة الغادة الجميلة الحسناء الفاتنة التي تسحر العين جمالاً، وضياء، وبهجة، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو قوله: (لماحة الومض)، وقد جاء ذلك التصوير على سبيل الاستعارة التمثيلية.

ولا شك أن الشاعر جعل للمستعار له وهو (القمر) (وجنة وثغر)، مما زاد من جمال الاستعارة وروعتها، إلى جانب أنه زاد من جمال الصورة مبالغة وجنوحا إلى الخيال، عندما جعل للقمر (وجنة وثغر) صنعا من العسجد، وهو الذهب .

يقول د/ عبد العزيز عتيق: "إن الاستعارة تحقق معنى الإيجاز والبيان، كما أن من خصائصها المبالغة في إبراز المعني الموهوم إلى صورة المشاهدة، فجمال المبالغة الناشئة عن الاستعارة، في إخراج ما لا يدرك إلي ما يدرك بالحاسة، إذ صُيّر بمنزلة ما يُدرك ويُشاهد، ويُعاين".[٣]

والاستعارة هنا مرشحة، لأنه ذكر ما يلاءم المشبه به (المستعار منه)، وهو الثغر والجبين.

---

(١) العسجد: الذهب وإذا كان الشاعر يريد أن يلحق ضوء القمر بلون الذهب فقد جانب الصواب لأن اللونين مختلفين، أما إذا قصد بالعسجد: انه اسم جامع للجوهر كله كما قال ابن منظور فقد أصاب لأنه قصد أن يلحق ضوء القمر بما يتناسب ويتلاءم مع ألوان الجواهر (انظر اللسان مادة عسجد).
(٢) طلاجامه: خمر إنائه – انظر اللسان ومادة (طلي ، جوم).
(٣)علم البيان ص(١٩٨، ١٩٩).

ويقول محمود حسن إسماعيل في وصف القمر أيضا:

١- شَاعِرٌ هَزَّه هَوَاك فغنّى لَك أُنْشودَةٌ الْجَمَال الْبَهِيّ

٢- مَدّ أَوْتَارُه أَشِعَّة بَدْر غارقات فِي صمتك السَّرْمَدِيّ [١]

وصف الشاعر القمر في هذين البيتين، وتحدث عن جمال قريته (النخيلة) تحت أشعته ليلاً حيث الصمت والهدوء، والجمال، والسحر .

المشبه: القمر بنوره الجميل الوضاء، والمشبه به: أوتار العود في رقته ونعومته، مما يجعله يسحر العقول بهذه الرقة، وهذا السحر والجمال، والتشبيه هنا مقلوب، فقد جعل الفرع أصلا والأصل فرعا.

جـ) النجوم:

يقول محمود حسن إسماعيل في شأن النجوم:

١- تِلْكَ النُّجُومَ الْغِرَّ لَمَّا رَنَا وَطَيْرِ النَّجْوِى لَهَا نِغمَةٌ

٢- حبَّاتِ نُورِ ضَافِيَاتٍ أُلْسُنَا جَوْهَرَهَا اللهَ لَهُ سُبْحَةٌ [٢]

شبه الشاعر محمود حسن إسماعيل النجوم المضيئة المتلألئة في السماء بحبات السبحة المضيئة، التي تشع نوراً وجمالاً وضياءً، المشبه: النجوم اللامعة، والمشبه به: حبات السبحة المضيئة، ووجه الشبه: الضياء واللمعان في كل.

والتشبيه هنا بليغ، محذوف (الأداة والوجه) (وهو من أعلى مراتب التشبيه بلاغة، من حيث قوة المبالغة فيه من ادعاء أن المشبه هو عين المشبه به، كذلك الإيجاز الذي يجعل نفس السامع تذهب فيه كل مذهب) [٣] يقول الهاشمي:

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج١ (٤٢).

(٢)الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج١ ص (١٣٥).

(٣)علم البيان ص (١٠٥).

(ولأن هذا النوع من التشبيه يتيح للعقل، التفكير بما هو مخفي من وجه الشبه، فيعمل المتلقي ذهنه متفكراً، أو متفحصا للعلاقة بين المشبه والمشبه به، ليبرزها ويظهرها، ويستنتجها، فقد اعتبر هذا التشبيه من أبلغ أنواع التشبيه)[١]

ثانيا: (أوقات الزمن الكونية)

أ) الفجر:

الفجر في شعر محمود حسن إسماعيل، وقت صاف، هادئ اتخذه الشاعر كي يبرز فيه شجونه، وليسبح مع النور الوليد، كما يجعل الشاعر الكون كله يشترك في تسبيحه وتهليله – سبحانه وتعالى.

يقول محمود حسن إسماعيل:

١- لِقَدَّ ذَبُّنَا مَعَ الْفَجْرِ نَدِى كَاللُّؤْلُؤِ الصافي

٢- فَرَصَعَنَا كُؤُوسُ الزه ر مِنْ لآلَائِنَا الضافي[٢]

٣- ولحنا مِنْ مَرَاعِينَا نُجُومًا بَيْن أسداف[٣]

٤- عَدُوّنَا نُسْبَق الشَّمْسِ إلَى مربعنا الضافي

٥- لَم نَتْرُك لرائينا سِوَى أشباح أطياف [٤]

في هذه الأبيات: نجد الشاعر يغني مع نور الفجر، ويذوب معه، وكأنه قطرة من قطرات الندى، أو نغمة من رجع الصدى يترنم ويتغنى معه، وكأنه يصلي لهذا الجمال.

وقد جاء التشبيه في الشطر الثاني من البيت الأول في قوله: (ندى كاللؤلؤ الصافي) المشبه: الندى وهو يتساقط فوق الأزهار وقت بزوغ الفجر ،والمشبه به:

---

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع احمد الهاشمي ص (٢٣٨) ط بيروت المكتبة العصرية بدون تاريخ.

(٢) الضافي: الكثير الفياض اللسان مادة (ضفا).

(٣) السدف: من الأضداد يستعمل بمعنى: الظلم، وبمعنى: ضوء الصبح وهو المراد هنا انظر اللسان مادة (سدف).

(٤) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج١ ص (١٨٥) قصيدة من فم الراعي.

حبات اللؤلؤ الصافي، وأداة التشبيه (الكاف)، ووجه الشبه: الصفاء والضياء، والتشبيه (مرسل مفصل).

وجاء التشبيه البليغ في البيت الثالث في قوله:

١- وَلحْنَا مِنْ مَرَاعِينَا نجوما بَيْنَ أسداف

المشبه: صوت الفجر، والمشبه به: اللحن أو النغمة العذبة التي تشدو الآذان، وأداة التشبيه محذوفة، ووجه الشبه: الرقة والعذوبة.

وجاءت الاستعارة في البيت الرابع في قوله: (عدونا نسبق الشمس) المشبه: الشاعر والعصفور في قوله: (عدونا) بأنهما في عدوهما وجريهما يسبقان الشمس والمشبه به: الخيال الذي يجري أمام الإنسان، والجامع: السرعة والسراب في كل.

إن تنوع الصور من (تشبيه واستعارة) في مقام واحد ونسيج واحد يدل على مقدرة الشاعر على الإتيان بصور متنوعة، مما ينبئ عن مهارة الشاعر في الإتيان بصور بيانية مختلفة.

ب) النور:

من خلال الاطلاع على ديوان الشاعر اتضح أن قصته مع لفظ (النور) هى أن المقصود بهذا اللفظ في شعره (الله – ﷻ–) نور، والنبي محمد –ﷺ– نور ، والدين هو النور.

يقول محمود حسن إسماعيل في شأنه:

١- عَلَى الْأَرْضِ نُور .. وَفِي الْأُفُق نُور

٢- وَفِي كُلِّ قَلْبُ شُعَاع يَدُور

٣- وَلَحْن يُسَبِّح طَيّ الصُّدُور

٤- يستغفر اللَّهُ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ

٥- وَيَدعوك يَا رَبِّ أَنْتَ الْمُلَبِّي

٦- وَلَبَّيْك أَنْت الرَّحِيم الْغَفُور [١]

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج٢ قصيدة تسبيحة ، قصيدة (الله والجبل) ج٣ ص (٣٢٠) ، وقصيدة (الله والطبيعة) ج٣ ص (٣٢٧).

فالتشبيه البليغ ظهر في قول الشاعر: (على الأرض نور .. وفي الأفق نور).

المشبه: الذات العليا والمشبه به: النور، والتشبيه محذوف الأداة ووجه الشبه، والمشبه: مقدر (هو) عائد على (الله – ﷻ–)، ووجه الشبه: نور الله يملأ الكون بعظمته وجلاله.

والتشبيه البليغ من "أرقي أنواع التشبيه بلاغة، فهو يعتمد على جعل المشبه هو ذات المشبه به، كما يعتمد علي المبالغة والإغراق في إدعاء أن المشبه هو المشبه به نفسه، لذلك لا يذكر فيه أداة ولا وجه الشبه) [١].

كما أن فيه إيجاز ناشئ عن حذف الأداة والوجه معا، هذا الإيجاز يجعل نفس السامع تذهب فيه كل مذهب، ويوحي لها بصور شتى من وجوه التشبيه، فقد اعتبر هذا التشبيه من أبلغ أنواع التشبيه، فكلما كان وجه الشبه قليل الظهور يحتاج في إدراكه إلى إعمال الفكر، كان ذلك أفضل في النفس وادعى إلى تأثيرها واهتزازها، لما هو مركوز في الطبع، ولأن المتلقي يجب أن يتذوق النص، فالشئ إذا نيل بعد الطلب له، والاشتياق اليه، ومعاناة الحنين يكون نيله أحلى، وموقعه في النفس أجل وألطف) [٢]

وقد يجتمع لفظ النور والضياء في بيت واحد عند محمود حسن إسماعيل، فيبدأ بالنور أولا، ثم يتبعه بالضوء الذي هو بداية لمعان النور يقول:

١– النُّورُ لِمَّاحَ صاح فِي جَوِّهِ هَلَلٌ بِالْأَضْوَاءِ مِنْ فَرَحَتِهِ
٢– وَلَاحَ كَالْنَّشْوَانِ مِنْ شَدْوِهِ يَرْقُصُ مَنْ بَشَرِ عَلِي صَيْحَتِهِ [٣]

المشبه: (النور) في بداية ظهوره، وهو يأتي متهللا فرحا مبتهجا، والمشبه به: المحب النشوان الذي يرقص من فرط وسعادته، عندما يرى من يحب، وأداة التشبيه: (الكاف)، ووجه الشبه: السرور والسعادة والبشر في كل.

(١) البلاغة العربية عبد الرحمن حسن الدمشقي ج٢ ص (١٧٦) .
(٢) جواهر البلاغة ص(٢٣٨).
(٣) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج١ ص (١٠٢).

والتشبيه هنا مرسل (لذكر الأداة) مفصل (لذكر الوجه)، ولا شك أن التشبيه هنا جاء لتقرير حال المشبه أي تثبيت حاله في نفس السامع .

ويعبر عبد القاهر الجرجاني عن مدى تأثير التشبيه في التعبير عن المعاني المختلفة بقوله: (وسبب آخر من أسباب بلاغة التشبيه، وتأثيره في النفس هو التماس شبه للشيء في غير جنسه وشكله، لأن التشبيه لا يكون له موقع من السامعين ولا يهزّ ولا يحرّك، حتى يكون الشبه مقررا بين شيئين مختلفين في الجنس، كتشبيه العين بالنرجس، وتشبيه الثريا بما شبّهت به من عنقود الكرم المنوّر، وهكذا إذا استقريت التشبيهات وجدت التباعد بين الشيئين، كلما كان أشدّ كانت إلى النفوس أعجب ، وكانت النفوس لها أطرب....

وإذا ثبت هذا الأصل، وهو أن تصوير الشبه بين المختلفين في الجنس مما يحرّك قوى الاستحسان، ويثير الكامن من الاستظراف، فإن التمثيل –أي التشبيه – أخصّ شيء بهذا الشأن، فالتشبيه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر بُعد ما بين المشرق والمغرب، ويجمع ما بين المَشْئَم والمَعرِق[1]

ج) ساعة الغروب:

هي ساعة الرومانسية التي ينجذب إليها كل شاعر، وينتظرها كل محب، يقول محمود حسن إسماعيل :

١– مَاتَ النَّهَارُ وَهَذِي الشَّمْسِ جَازِعَةً عَلَيْهِ تَخْطُرُ فِي دامي الْجَلَابِيبَ

٢– كَأَنَّهَا نَعْشُ خُوفوِ مَالِ مُتَّكِئًا عَلى سَرِيرَ يَذُوبُ النُّورُ مَخْضُوبٌ[2]

في هذين البيتين نرى الشاعر أنه قد بث أحزانه، عندما عبر عن زوال النهار وانتهاءه بقوله: (مات النهار) استعارة مكنية في الفعل (مات)، حيث شخّص فيه النهار بأنه إنسان يصدق عليه الموت، والفناء الذي هو من سمات

(١) أسرار البلاغة ص (٩٣–٩٦).

(٢) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج١ ص (٩٣) قصيدة أحزان الغروب.

الأحياء فالمشبه: انتهاء النهار وزواله وغياب الشمس فيه، والمشبه به: موت الإنسان وفناؤه ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو قوله: (مات) على سبيل الاستعارة المكنية.

ومع هذه الصورة تأتى الاستعارة المكنية –أيضا– في قوله (وهذي الشمس جازعة) المشبه: حزن الشمس على فقدان النهار وانتهاؤه، المشبه به: جزع وحزن الإنسان على فقد عزيز لديه، ثم حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو قوله: (جازعة) على سبيل الاستعارة المكنية، ثم جاءت الكناية عن الصفة في قوله: (دامي الجلابيب) لتصور مدى شتات الألوان الدامية، والمتقاربة التي يضمها لون واحد وهو لون الدم (الأحمر).

وجاء التشبيه في البيت الثاني في قوله: (كأنها نعش خوفو مال متكئا)

المشبه: صورة زوال النهار وبزوغ ساعة الغروب والشمس باكية، وقد اختلطت الألوان بلون واحد هو الأحمر، المشبه به: صورة نعش خوفو وهو متكئا على سرير مخضب باللون الأحمر، ووجه الشبه: الهيئة الحاصلة من وجود ألوان مختلطة (تشبيه تمثيلي)، ولا شك أن الصورة في المشبه به وهي صورة نعش (خوفو) صورة خيالية لأننا لم نرها ولم نشاهدها، ولذلك جاء التشبيه التمثيلي هنا في صورة خيالية بعيدة عن الواقع، وكأن الشاعر أراد أن يصف ساعة الغروب، بالنسبة للإنسان، بأنها ساعة تدعو إلى الحزن والكآبة، وهذا مما يدلل على امتزاج الشاعر في عاطفته الحزينة بمظاهر الطبيعة، التي أثرت في نفسيته، فجعلته يعج بألوان من الحزن والألم، لذلك سبغ هذا الوصف الحزين على ساعة الغروب.

د) المساء: هى لحظة تثير كوامن الأشجان والأشواق الخفية، في النفوس المرهفة الحس، وهى لحظة وجدانية جميلة، ومادة خصبة يجد كل

شاعر فيها من المعاني، ما يعبر فيها عما تجيش به نفسه من عواطف، وذكريات، وأشواق[١].

ولأهمية هذه اللحظة عند محمود حسن إسماعيل، أفرد لها قصيدة كاملة تحدث فيها عن المساء، يقول فيها:

١- وَوَجْنَةُ الشَّمْسِ حِينَ تَبْدُو بِشَاطِئِ الأفق فِي اِخْتِرَاقِ
٢- كَأَنَّهَا كَاعِبٌ تُعَانِي مِرَارَةُ الْعِشْقِ فِي الْفِرَاقِ
٣- وَيُسَبِّحُ الْحَقْلُ فِي أَثِيرٍ مَذْهَبِ الْوَشَى وَالنِّطَاقِ [٢]

المشبه: وجنة الشمس في ساعة الغروب، وهى تسرع نحو الأفق المشبه به: الفتاة الكاعب الجميلة الفاتنة التي تعاني مرارة العشق والفراق، وأداة التشبيه (كأن)، ووجه الشبه: الحزن لألم الفراق، والتشبيه هنا (مرسل مفصل).

كما ظهرت الكناية في البيت الثاني في قوله: (ويسبح الحقل) – وإن كان هذا الوصف غير مختص– بساعة الغروب، إلا أن الشاعر جعله كناية عن موصوف وهو (الفلاح) في حقله، يسبح للخالق فجعل من عمله في الأرض تسبيحا.

إنها لصورة جميلة أشاعها الشاعر في البيت، وهي صورة الكناية حيث جعل الحقل هو الذي يسبح.

ويجوز: أن يكون مجازاً مرسلاً علاقته المحلية، أطلق المحل (الحقل)، وأراد الحال وهو الفلاح.

إن الأبيات الثلاثة ترمز إلى الطبيعة عند الشاعر محمود حسن إسماعيل الذي وصف من خلالها سحرها وفتنته بها، وكذلك حزنه وبكاءه ،وضعف قوته أمامها.

---

(١) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر د/ عبد القادر القط ص (٣٥٠) مكتبة الشباب بالمنيرة ط ١٩٨٦م.

(٢) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج١ ص (٧٨) قصيدة المساء.

ج) الليل: أما الليل عند محمود حسن إسماعيل، فقد ارتبط عنده بأنه وقت عظيم للعبادة، حيث تهدأ العيون، وتصفو النفوس مع هدوء الليل.

وصف الشاعر الليل بقوله :

١- لَفَّهَا اللَّيْلُ فَاسْتَرَاحَتْ مَنِ الأين على حِضْنه الرَّفيقُ الْهَنِيُّ

٢- وَسَدَّتْهَا الْأَضْوَاءُ مِنْ لَمْحِهَا الضافي وَسَادَ الطَّبِيعَةُ الْعَبْقَرِيُّ [١]

وصف الشاعر قريته الهاجعة في ظل القمر ليلا، وقد جعل الليل هو سبيل خلاص هذه القرية، وأهلها المتعبين طوال النهار، فالمشبه: الليل يلف القرية ويعمها بأكملها، والمشبه به: الحضن الرقيق الحاني الذي يلجأ إليه الإنسان للراحة والهدوء، ووجه الشبه: العطف والحنان والشعور بالأمن.

وقد حذف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه، وهو قوله: (حضنته) على سبيل الاستعارة المكنية.

ويقول محمود حسن إسماعيل عن شجون الليل وصمته في الريف:

١- كَأَنّا حِينَ أَرْخىَ اللَّيْلَ فِي صَمْتِ دَيَاجِيهِ

٢- شَجَوْنَ فِي ضَمِيرِ الرّيفِ هَاجَتْهَا أماسيه [٢]

فالشاعر هنا يصف الليل وقد أرخى سدوله في صمت، وسكون بأنه مثل الشجون التي تكون في صدر إنسان، ويحاول إخفاءها وعدم إظهارها.

فالمشبه: الليل في قريته وقد شملها هدوءا وسكونا.

والمشبه به: الشجون في صدر الشاعر.

وأداة التشبيه (كأن)، ووجه الشبه (الصمت والسكون)

والتشبيه هنا مرسل مفصل.

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج١ ص (٤٠).

(٢) نفسه ج١ ص (٨٨).

الخاتمة

نحمد الله حمداً جزيلاً على عظيم إحسانه، ونستمد منه التوفيق والسداد، ونصلي ونسلم على خاتم أنبيائه، محمد – صلى الله عليه وسلم – ومن اهتدى بهداه.

وبعد،،

فمن خلال مصاحبتنا في هذه السياحة المشوقة للشاعر محمود حسن إسماعيل شاعر الريف، وما يحمله شعره من دلالات نفسية عميقة، وقيمة أدبية رائعة وبراعة فنية ممتعة، وعواطف شجية متألمة، يحسن بنا أن أشير إلى أهم النتائج التي تضمنها هذا البحث إثر هذه السياحة وتتمثل فيما يلي:

١- كانت الصورة البيانية أداة فاعلة في شعر محمود حسن إسماعيل وقد تنوعت بين الحقيقية والتشخيصية، والكناية، والمبتكرة التي حاكت واقعه الذي عاشه في الريف المصري في نسيج متكامل، فامتاز أسلوب الشاعر بجودة الأداء ودقة التصوير، ورهافة الحس.

٢- برع الشاعر محمود حسن إسماعيل في استغلال اللغة والاستفادة من طاقتها، في تكوين وتراكيب صورة البلاغية البيانية، حيث تتجلى في شعره جودة التعبير، وبراعة التصوير.

٣- جاءت صور محمود حسن إسماعيل بعيدة عن المجردات، فألبس المعنوي ثياب الحسي، فقد بث الحياة والروح في الجمادات، فجسّم وجسّد وشخّص واستعار.

٤- ظهرت التشبيهات في شعره وشغلت جانباً كبيراً منه، لأن التشبيه باب واسع وركن أصيل في بلاغة اللغة العربية.

٥- كثرت الاستعارات في شعره، وجاءت مصورة عاطفته أحسن تصوير مما توافق مع أحاسيسه ومشاعره الفياضة.

٦- رسم الشاعر لوحة فنية للريف المصري، حيث جعل التشخيص من وسائل تشكيل الصورة للوحة الريف، فبث فيها عنصر الحياة والحركة وشاركهما التجاوب النفسي والوجداني معا.

٧- لقد أفاد الشاعر من إمكانات ثقافته البلاغية فشبّه، واستعار، وكنّى كل ذلك بألفاظ رشيقة سلسة جزلة، فجاءت الصورة واضحة المعنى.

٨- إن التشكيلات البلاغية البيانية تركت أثرا وتأثيرا في المتلقي مما أدى لتفاعله مع الصورة، بالإضافة إلى الإحساس بالمتعة الفنية، والجمالية في شعره.

فالشاعر بمهارته الشعرية ورهافة حسه استطاع أن يخلع نوعا من النبض والحياة على الصورة، فجاء التشبيه، أو الاستعارة، أو الكناية نوعاً من التجسيد الحسي، مما ساعده في التعبير عن حالته الشعورية والنفسية.

إن هذه الدراسة تُعد لبنة في بناء شعري لشاعر امتلك ناصية البيان، وزمام اللغة، فشكّل لوحات فنية متكاملة الأركان، استطاعت أن تُلفت الدارس وتثير انتباهه.

ثبت (المصادر والمراجع)

١. ابن حجر العسقلاني، الحديث في كتاب الباري بشرح الإمام البخاري، ج١ الباب الرابع، كتاب العلم الحديث، رقم (٦١) ط١ المطبعة السلفية، القاهرة سنة ١٣٨٠ هـ.
٢. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ط بيروت، المكتبة العصرية، بدون تاريخ.
٣. في الأدب العربي الحديث د/ عبد القادر القط، الطبعة الأولى ،مكتبة الشباب بالمنيرة، سنة ١٩٧٨م.
٤. جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة،سنة ١٩٩٢م.
٥. د. حفني شرف، الصورة البيانية بين النظرية والتطبيق، دار نهضة مصر للطبع والنشرسنة ١٩٦٥م.
٦. سلوان محمود حسن إسماعيل، المختار من شعر محمود حسن إسماعيل، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب،سنة ٢٠٠٥م.
٧. عبد الرحمن حسن الدمشقي، البلاغة العربية، ج٢ شرح خليل الدويهي، ط دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٤٤م، وط السليمانية، بيروت.
٨. د. عبد العزيزعتيق، علم البيان،ط دار النهضة العربية، للطباعة والنشر بيروت، لبنان سنة ١٩٨٥م.
٩. د. عبد الفتاح صالح نافع، الصورة في شعر بشار بن برد،ط دار الفكر، للنشر والتوزيع، عمان، سنة ١٩٨٣م.
١٠. د. عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب بالمنيرة، ط سنة ١٩٨٦م.

١١. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق محمد محمود شاكر، نشر دار المنار،القاهرة، ط أولى، سنة ١٩٩١م.
١٢. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد محمود شاكر، نشر دار المنار،القاهرة، ط أولى، سنة ١٩٩١م.
١٣. د/ علي علي صبح، الصورة الأدبية تأريخ ونقد، الطبعة الثانية، دار إحياء الكتب العربية، مصر.
١٤. القاضي الجرجاني، الوساطة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم البجاوي، دار إحياء الكتب العربية،الطبعة الثالثة، القاهرة، مطبعة عيسي الحلبي سنة ١٩٩٦م.
١٥. القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ج١ شرح وتعليق د/ محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، ط سادسة، سنة ١٩٨٥م.
١٦. محمود حسن إسماعيل، لسلوان محمود، وعزت سعد الدين، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ٢٠٠٥م.
١٧. محمود حسن إسماعيل، بين الأصالة والمعاصرة، د/ صابر عبد الدايم،دار المعارف،سنة ١٩٨٤م.
١٨. د. محمد علي هدية، شعر محمود حسن إسماعيل، (دراسة فنية)، نشر مكتبة مدبولي، سنة ١٩٨٧م.

(المعاجم اللغوية)

١٩. ابن منظور، لسان العرب، مادة (صور)، ط ثالثة، دار صادر، بيروت سنة ١٤١٤هـ.
٢٠. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن مادة (صور)، دار الخلود للتراث.

(الدوريات)

٢١. أ/ نعمان عاشور مقال" محمود حسن إسماعيل وشاعرية الشموخ"، مجلة الدوحة القطرية السنة الخامسة ، أكتوبر سنة ١٩٨٠م .